بصائر النور

لآية الله الدكتور الشيخ
محمد صادق محمد الكرباسي

إعداد
الشيخ عبد العزيز بن عبد الله حبيب

بيت العلم للنابهين
بيروت - لبنان

بصائر النور

Digitized by Google

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م

بيت العلم للنابهين

ص. ب: ٥٧٣٣ ـ ١٤. المزرعة ـ بيروت ١١٠٥٢٠٧٠ ـ لبنان. هاتف: ٠١/٥٥٠٩٩٢

Digitized by Google

بصائر النور

لآية الله الكرباسي

إعداد
الشيخ عبد العزيز الحبيب

بيت العلم للنابهين
بيروت ـ لبنان

Digitized by Google

Digitized by Google

مقدمة الناشر

﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] بهذه الآية المباركة التي تدل على رحمة الله الواسعة بعباده خاطب رب العزّة خالقنا وخالق كلِّ شيء في هذا الكون وراحمهم ورحيمهم البشر عامة يحثهم على التوجه إليه بالدعاء والتوسل ضامناً عز وجل لهم الإجابة.

ولذا، فمنذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض تراه يرفع يديه إلى الباري عز وجل مالك الملك بالدعاء إليه، لدفع بليةٍ، أو ردّ مظلمةٍ، أو تفرج هم، أو توسعة في رزقٍ، أو شفاء من مرضٍ، فهو مالك خزائنَ الدنيا والأرض وهو الشافي الرزاق الوهاب المعطي المعين.

من كل هذه المنطلقات نرى الدعاء يحتل مكانه الواسع في قلوب وعقول المؤمنين من البشر، غير أن هناك الكثير من الأمور المتعلقة بالدعاء، ربما يجهلها الكثير منا، مثلاً: فوائد الدعاء وآثاره، حدود الدعاء، آداب الدعاء، شرائط استجابة الدعاء، عوامل استجابة الدعاء.

هذه المواضيع وغيرها كثير يتناولها هذا الكتاب المختصر، الذي هو في الأصل مقدمة لكتاب الصحيفة الحسينية الذي هو

Digitized by Google

أحد أجزاء دائرة المعارف الحسينية العملاقة.

ولقد جذبت هذه المقدمة العلامة الشيخ عبد العزيز الحبيب، حيث وجدها وافية بالغرض ومفتاحاً لكل من يريد الاطلاع على الأدعية بالإجمال، أو يعرف شروط استجابتها، إلى جانب الأمور التي تقف حائلاً بين الداعي والاستجابة وغيرها من الأمور التي أشرنا إليها آنفاً والتي اعتبر المعد أنها يمكن أن يطلق عليها اسم علوم الدعاء، وقد تولى سماحة الشيخ الحبيب مراجعة هذه المقدمة ووضع بعض التعاليق عليها.

ولأن الدعاء سلاح المؤمن الذي نأمل أن يتسلح به كل المؤمنين في عصرنا هذا حيث تكثر الفتن والهموم والأمراض، ورغبة منا في أن يكون الدعاء حاضراً في نفوس المؤمنين مع إيمان ويقين بالإجابة نضع بين أيديكم هذا الكتاب آملين أن ننال دعاء المؤمنين القارئين لهذا الكتاب والمستفيدين من كلماته وآرائه، والله المستعان في كل الأمور.

٢٣/جمادى الثانية/١٤٢٥ هـ
٩/آب/٢٠٠٤ م

Digitized by Google

مقدمة المعد

منذ أن عرفت نفسي، كان للدعاء الذي يطرق مسامعي وقع يختلف عن غيره، من الكلام الذي يتدحرج إلى أعماقي، فيستقبل قلبي بعضه ويرفض بعضه الآخر، إلا أن الدعاء ظل ومنذ نعومة أظفاري يتسرب إلى كياني ويأخذ مكانه في قلبي دون أن يجد حاجباً له في صماخ عقلي أو أوتار قلبي، وقد وجدته بفطرتي التي فُطرت عليها وبالبيئة التي عشتها وبالتربية التي ربّيت عليها، أن الدعاء تالي تلو كلام الله المجيد الذي أنزله على أنبيائه من أولي العزم، وبالأخص الذكر الجميل الذي نزل على قلب حبيبنا وسيدنا خاتم الأنبياء والمرسلين وسيدهم أبي القاسم محمد بن عبد اللَّه عليه وعلى آله آلاف التحية والسلام.

منذ ذلك الحين، كان الدعاء يدغدغ مشاعري ويسحرني بنغماته الجذابة قبل أن أعي معانيه، وما أن صرت أفهم المقصود منه إلا واستوقفتني معانيه السامية، وقد خلقت مني روح التلازم الذي لا أتمكن من التحرر منها، لا عن سوء رغبة بل عن مزيد التلهف الذي قد يصل إلى حد العشق الذي يؤدي بي إلى زيادة المعرفة بالله جل جلاله، ذلك النور المشعّ الذي لا يؤيّن بأين ولا يكيّف بكيف، وربما صحّ في هذا الانطباع بأنه كفى بهذا التأثير دليلاً على وجود الخالق ووحدانيته. ومن هنا فإني أرى أن الدعاء

Digitized by Google

وسيلة من وسائل معرفة الله جل وعلا، فإذا ما خرج من قلب العارف، فإنه يصنع المعاجز، ويفتح آفاق المعارف.

منذ أمد بعيد كنت أفكر في أن أحظى بدراسة موضوعية تبين كوامن الدعاء وآثاره، وتميز بين حالات الاستجابة وعدمها، وتأخذ بالفكر إلى فلك النور، لتنير الغوامض منه وبمعطياته على أرض الواقع، ومدى حاجة الإنسان إليه في حياته، بعد أن أهمله الماديون، وصوروه بأنه مجرد خداع سايكلوجي، أَثاره دعاة الدين وأصحاب المصالح الذين يرجون هذه الأساليب للتحكم على شريحة بشرية ضعيفة النفس، فلم أجد ما يثلج الصدر ويلبّي المطلوب، إلى أن وقع بين يدي كتاباً يعرِّف فيه الأجزاء التي تشكل دائرة المعارف الحسينية، ألا وهو كتاب معالم دائرة المعارف الحسينية، فلاحظت أن من أبوابه باب الدعاء، فجذبني ذلك الباب، وصرت أتحرّى هذه الدائرة، وعرفت أن أجزاءً منها قد طُبعتْ، ولما تصفحتها وجدتها موضوعية أكثر مما كنت أتصورها، وعندها قمت أبحث عن الباب الذي خصص للدعاء، إلى أن تمكنت من الوصول إليه عبر أصدقاء مخلصين، ولما اطلعت عليه وجدته وافياً بالغرض رغم إيجازه المتعمد، حيث ينتهج المؤلف منهج الاختزال، الذي يخال لي أنه اكتسبه من أدب القرآن والحديث، وقد تحققت أمنيتي في تلك المقدمة التمهيدية التي سبقت الأدعية الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام والتي تعد في الواقع مفتاحاً لكل من يريد أن يطلع على الأدعية بالإجمال أو يمارس تلاوة الدعاء ويعرف آدابه وشروط استجابته، إلى جانب الأمور التي تقف حائلاً بين الداعي والاستجابة، بالإضافة إلى

Digitized by Google

معرفة حقيقة الدعاء وآثاره وعلاقته بالإنسان ومسيرة حياته، ومدى ارتباطه بالحضارة وبالعلوم الحديثة، وما إلى ذلك من أمور يمكن أن يطلق عليها بعلوم الدعاء، إذا أراد الباحث أن يفصّل القول فيه ويتعمق في مادته. ورغم أنني لم أكن ألتقي بسماحة الدكتور آية الله الشيخ الكرباسي إلا لمرتين، الأولى في لندن وللحظات زمنية قليلة في تجمع إسلامي بمناسبة إسلامية عامة، والثانية في دمشق في جلسة تأبينية لشقيقته، حيث تكلمت معه للحظات، ولكن معرفتي في الأساس كانت عبر مؤلفاته القيمة وإخوانه وأصدقائه الذين تمكنوا من وصفه على حقيقته، فتطابقت الرؤيتان، وكان ثالثهما التحدث معه عبر الهاتف بين الفينة والأخرى، لمناقشة بعض المعارف الإسلامية.

لقد وجدت ضالتي من خلاله، عبر هذا الباب من أبواب موسوعته الخالدة، التي أملت عليّ أن أقوم باستقطاع هذه المقدمة التمهيدية عن أصلها لأضعها في كراس يسهل لكل من يريد الاطلاع عليها دون عناء، حيث أن الموسوعة مترامية الأطراف ولا سبيل لكل القراء الوصول إليها، ومن باب أحبب لأخيك ما تحب لنفسك، فأحببت أن يطلع عليها من له إلمام بالدعاء ويتفهم واقع الدعاء وأثره الذي يتركه في مجتمعاتنا وبالأخص الحديثة منها، وقد ورد في الحديث: زكاة العلم نشره. فكان طلبي مشفوعاً بالتشجيع لأجل الوصول إلى الهدف الذي وضع لأجله الدعاء، الذي هو سلاح من أسلحة المؤمنين ومسلك للنجاة ومنار لأهل اليقين. جعلنا الله وإياكم منهم، وأنا من موقعي أدعو كل من يجد نفسه بحاجة إلى تلاوة الأدعية، قراءة هذا الكتاب حتى

Digitized by Google

يعرف كيفية التعامل مع الدعاء من جهة وأن يكون على معرفة تامة بالشروط والآثار ومقدمات الدعاء ومستلزماته، خاصة وأنه ما من أحد ممن خلقه الله إلا وبحاجة إلى ساعات يناجي بها ربه وخالقه الذي بيده الأمور كافة.

وإن مسألة دعاء الخلق والتوجه إلى الخالق هي من جملة ما يربط الإنسان بربه، وقد عدّه سماحة المؤلف من أولى العلاقات التي عالجها الإسلام في إطار التشريع، وقد حدّدها بعلاقات ست، وهي:

١ ـ علاقة الفرد بخالقه.

٢ ـ علاقة الفرد بنفسه.

٣ ـ علاقة الفرد بفرد آخر.

٤ ـ علاقة الفرد بالمجتمع.

٥ ـ علاقة الفرد بالدولة.

٦ ـ علاقة الفرد بالبيئة.

حيث يقول: إن الإنسان مركب من الفكر (العقل) والنفس والجوارح، فالشريعة الإلهية ترى من الضروري تنظيم العلاقات في الاتجاهات الثلاثة ليتزن الإنسان في تصرفاته ويصل إلى حد الكمال، فلذلك عالج الفكر بالعقيدة، وعالج النفس بالأخلاق، بينما عالج الجوارح بالأحكام[1]، ومن هنا فإن للدعاء اتجاهات

(١) راجع الحسين والتشريع الإسلامي: ١/ ٣١ من دائرة المعارف الحسينية للكرباسي.

Digitized by Google

مختلفة أبرزها ارتباط المخلوق بالخالق.

نرجو من الله سبحانه وتعالى التوفيق والتسديد لما فيه رضاه وخير هذه الأمة، إنه سميع مجيب.

١٤٢٥/٤/١٩ هـ
٢٠٠٤/٦/٨ م

عبد العزيز الحبيب
الكويت

Digitized by Google

Digitized by Google

تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حمد الله جل وعلا والصلاة على سيد رسله فرض وعبادة على كل عباده، كما أن السلام على آله الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً سنة وعبادة، بينما الصلاة على رسوله ﷺ دون ذكرهم تعد صلاة بتراء وعبادة مردودة، فحمدي لرب العالمين متواصل، كما أن صلاتي وسلامي على خاتم أنبيائه وآله المطهرين مستمر ما دعا لله داع.

هذا وقد انبرى فضيلة الأخ المفضال والأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز حبيب دامت تأييداته أن يقوم بقطل المقدمة التمهيدية التي وفقت بتحريرها للصحيفة الحسينية الكاملة (دائرة المعارف الحسينية) من أصلها لما وجدها مفيدة لكل من يريد الارتباط بخالقه عبر الدعاء والتوسل إليه جل شأنه، حيث رأى بأن معرفة الآداب والشروط إن سلباً وإن إيجاباً ضرورة ملحة للداعي والمتوسل.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه لكل خير أدخل فيه محمداً وآل محمد سلام الله عليهم أجمعين وأن يحسن عاقبته

Digitized by Google

وعاقبتنا إلى خير، ويجعل هذا الكتاب كأصله نافعاً إنه سبحانه ولي ذلك.

١٤٢٥/٥/٢٧ هـ **محمد صادق محمد الكرباسي**

٢٠٠٤/٧/١٥م **لندن ـ المملكة المتحدة**

Digitized by Google

تمهيد
بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي . .
وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي . .
وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي . .
يَفْقَهُواْ قَوْلِي . .﴾[1]

صدق الله العلي العظيم[2]

---

(١) سورة طه، الآيات: ٢٥ ـ ٢٨.

(٢) في الواقع أن سماحة المؤلف قد خصص كل باب أو فصل مستقل من موسوعته الخالدة: «دائرة المعارف الحسينية» بابتهال ثلاثي رائع، يوحي إلى معاني عرفانية تتسم بروح الوحدانية والخاتمية والولائية، ولكنه خص هذا الفصل بالذات بهذه المقاطع القرآنية ليستلهم المزيد من ربّ العُلى ما يمكن طرحه في هذا المجال. هذا وقد جاءت كلمة التصديق إيذاناً منه على هذا الواقع الذي عايشه في كتابه دائرة المعارف الحسينية وبالذات هذا الباب. ومن الجدير بالذكر أن هناك من اتخذ من كلمة التصديق سمة يوصف هذا أو ذاك بمذهبية معينة فيما لو ذكرت مفردة العليّ أو لم تذكر، ولكن إذا ما راجعنا آية الكرسي نجد أن الله سبحانه استخدمها مع العظيم، وكذلك فعل في سورة الشورى، وما هذه التصنيفات التي تصك أسماعنا من هنا وهناك كدلالات على الانتمائية إلا من سوء الفهم والتفرقة ـ المعد.

Digitized by Google

لا يخلو ضمير كل إنسان مهما وصل به الطغيان والكبرياء، وبلغ به الكفر والإلحاد، حاجتَه ولو في لحظة من لحظات عمره إلى الالتجاء لقوة عظمىٰ[1]، لا يهمه معرفة كنهها بل يكفيه الشعور بقدرتها المطلقة، ولو على سبيل الاحتمال[2] للتخلص من محنته.

---

(١) اتفق المؤمنون سواء الإسلاميين أو غيرهم على أن الإنسان يتوجه فطرياً إلى الله سبحانه وتعالى لدىٰ انقطاع جميع الأسباب عنه وكلا الفئتين مثّلتا لنا صورة واحدة: صورة شخص تحطمت به سفينته إثر تلاطم البحر فظل وحيداً في أعماق البحر، وأمواجه المهولة فلا يرىٰ مَنْ يلجأ إليه ولا ما يتمسك به فعندها يتوجه إلى قوة غير مرئية يطلب منها خلاصه.. وليست تلك القوة سوى الله.

ولقد أثبت الإمام الصادق عليه السلام وجود الله لمن ناقشه قائلاً: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلىٰ، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلىٰ، قال: فهل تعلق قلبك هناك بأن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلىٰ، قال عليه السلام: «فذاك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منج، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث» ـ بحار الأنوار: ٣/ ٤١ ـ ومثل هذا الطرح وجدته في كتب الغربيين وقصصهم لدى بحثهم عن الله.

(٢) وهذا الشعور فطري ويمكن تصوير حالة المحتاج إلى الانقاذ من ورطته بحالة الطفل الذي تدفعه حاجته إلى الحليب إلى البحث عن ثدي أمّه الذي لم يشاهده ولم يعرفه ولم يأنس به بعد فيفتح فمه ويحركه ذات اليمين والشمال لينشد ضالته ويسد حاجته، وإذا لم يعثر على ضالته يبدأ بالبكاء، والبكاء بحد ذاته يعني طلب المعونة من الأم بعد فشل محاولات الطفل. فدعاء الطفل. بكائه، ودعاء المحتاج إلحاحه، وربما قارنه بالبكاء لضمانة الاستجابة، ولقد تطرق الشيخ المطهري إلى هذه الحقيقة في كتابه الدعاء: ١٠.

Digitized by Google

فالله ـ القوة غير المتناهية والقدرة المطلقة ـ هو الحل الأخير والناجع عند هؤلاء. ولكنه في الحقيقة هو الحل الأول والأخير، وما سواه إلا مظهر من مظاهر قدرته وقوته[1]، فإذا كنا بحاجة إليه فلماذا كل هذا البعد عن ساحته (جل وعلا) وهو القائل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسبطه الحسين عليه السلام «أعجز الناس مَنْ عجز عن الدعاء»[3].

(١) حتى أن بعض الوثنيين بل عقلاؤهم يرون أن الأوثان ما هي إلا هياكل تذكّرهم بالله، حيث يقول جل وعلا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ولكن الإسلام دين العلم والعدالة، يأمر بأن تكون الوسيلة مشروعة كما هو الحال بالنسبة إلى الهدف، ولا ينكر دور الوسيلة النزيهة، حيث يقول جل جلاله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ومن هنا يمكن فهم بطلان ما شاع أن الغاية تبرر الوسيلة ـ المعد.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) في بحار الأنوار: ٩٠/ ٢٩٤ رواه عن الإمام الحسين عليه السلام وفي مكارم الأخلاق: ٢٨٤ ومستدرك الوسائل: ٨/ ٣٥٩ روياه عن الرسول صلى الله عليه وآله.

Digitized by Google

Digitized by Google

حقيقة الدعاء

بعدما عشنا عصر الآلة (التكنولوجيا)[1] وشاهدنا الرموز المستخدمة في الهاتف والعقل الآليين بل وسائر الآليات المتطورة يمكننا أن نصور جانباً من حقيقة الدعاء بشكل تقريبي مادي، وهو أن الدعاء رمز يستخدمه العبد في اتصالاته بالرب فبدونه لا ترتبط الذبذبات اللاسلكية ولا تتصل الأمواج الروحية بالعالم العلوي للتحاور وعرض الطلب.

فالدعاء هو الوسيلة الوحيدة للتحدث مع الله جل وعلا، ولو شئت أن تقول: إن لكل عظيم قوانين خاصة ببلاطه لا بد وأن يراعيها المحتاج إليه للوصول إليه وتقديم حاجاته وطلباته، والله

(١) التكنولوجيا «Technology»: نعتذر من القارىء الكريم من استعمال كلمة أجنبية في كلامنا وبذلك نكون قد خرجنا من التزامنا بعدم استعمال المفردات الأجنبية إلا أنها كانت ترتبط بالعصرنة فساقنا البحث إليها، وفي الفترة الأخيرة وضعنا كلمة التقنية (التكتيك) بدل التكنولوجيا، ولكنها ليست دقيقة والصحيح أن يقال لها التأليت.
نضيف هنا أن سماحة المؤلف قد استخدم مفردات جديدة لمسميات حديثة ظهرت إلى الوجود، مثبتاً بذلك عدم قصور اللغة العربية في ذلك حيث أنها لغة الاشتقاق، ويمكن ملاحظة هذا من خلال الموسوعة ـ المعد.

Digitized by Google

سبحانه الذي هو أعظم من كل عظيم اختصر الطريق لعبده وجنبه المعاناة للوصول إليه فجعل الدعاء الذي لا يكلفه طي زمان ولا مكان وسيلة للتحدث معه.

فالدعاء حالة روحية، بل حالة من التجلّي الروحي العميق تحصل للإنسان من خلالها رؤية تزيل عنه الجهل بالله، وهو أعمق من مجرد ترديد بعض العبارات وتكرار الجمل، إنه إذاً اتصال حقيقي بالله.

Digitized by Google

فوائد الدعاء وآثاره

لعل من الغلط حصر فائدة الدعاء بعدد من الأرقام[1]، حيث أن فائدته لا تتقيد بالأرقام، وهو واسع سعة ارتباط المخلوق بالخالق، ولكن الذي يمكن قوله ويجمع شمله يتحدد بأمور نذكر ما برز منها، تاركين الباب مفتوحاً أمام غيرها:

١ ـ الشفاء:

كان بالإمكان أن نضم هذا البند إلى بعض البنود الأخرىٰ في بند واحد ونسميه قضاء الحاجة، إلاّ أن هذا البند بحد ذاته معجزة من معاجز الدعاء الذي اعترف بها المسلم وغيره فأفردناه.

والدعاء في الحقيقة وسيلة من وسائل الشفاء[2]، ولكنه ليس عقاراً مخدراً للإنسان[3]، بل يقع علاجاً ناجعاً للإنسان، إذا

---

(١) في كتاب الدعاء لألكسيس كارل: ٤٩ عن رالف والدو أمرسون «Ralph Waldo Emerson» «ما من إنسان مارس الدعاء إلاّ وتعلم أشياء تعود عليه بالنفع العميم».

(٢) في بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٢ عن دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام: «عليكم بالدعاء فإنه شفاء من كل داء».

(٣) في كتاب الدعاء لكارل: ٥٨ «ينبغي أن لا يشبّه في حال من الأحوال المورفين، ذلك أنه يسبغ إلى جانب الطمأنينة النفسية وفي الوقت عينه =

Digitized by Google

انقطع رجاؤه إلا إلى الله سبحانه، ولا فرق في العلاج بين الأمراض النفسية والجسدية، ولكنه الطريق الأفضل للعلاج النفسي، ولا نريد القول بأنه أحسن متنفس لما يلم بالإنسان من نكبات فتكون إذاً نتيجة انهزامية تلحق بالإنسان إثر مواجهته للعقبات القاصمة للظهر، بل نريد بيان أن الشفاء التام يحصل بالدعاء في الأمراض النفسية، ويرجع بالإنسان إلى حالته الطبيعية، وكثيراً ما نلمس في حياتنا اليومية هذا النوع من الاستشفاء لدى استفحال المرض واستعصائه على الأطباء شرط الانقطاع إلى الله، سواء في الأمراض النفسية أو الجسدية، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.. ولكنا نستشهد باعتراف أحد كبار الأطباء الفرنسيين الحائز على جائزة نوبل[1] مرتين لأجل اكتشافاته الطبية، حيث يقول الدكتور ألكسيس كارل[2]: إن نتائج الشفاء

= نوعاً من التكامل لدى النشاطات الذهنية المختلفة. ويتوفر على إغناء الشخصية الإنسانية وترسيخ النزعة البطولية أحياناً».

(١) نوبل: هو ألِفْرَدْ نوبل السويدي (١٨٣٣ ـ ١٨٩٦ م)، ولد في استوكهولم وتوفي في سان ريمو، اختص بعلم الكيمياء فاخترع الديناميت سنة ١٨٩٦ م، وتكريماً منه للعلم والعلماء أوقف ثروته لتصرف سنوياً على جوائز تمنح للمتفوقين في خمسة مجالات: الآداب، الفيزياء، الكيمياء، الطب، السلام. ولكن هذه الجوائز تسيّست فيما بعد ـ المعد.

(٢) الدكتور ألكسيس كارل (Alexis Carrel): ولد عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) في سانت فوالس ليون (Sainte-FoyLés-Lyon) في فرنسا، وهو طبيب جرّاح وفيزيولوجي فرنسي أحدث اكتشافات هامة في طريقة تطعيم العضلات وفي علم الأنسجة، له عدة مؤلفات، منها: الدعاء، الإنسان ذلك المجهول، وتأملات في سبيل زيادة لورد، نال جائزة نوبل في =

Digitized by Google

عن طريق الدعاء تستثير اهتمام الناس على مر العصور، وحتىٰ يومنا الحاضر وفي الأوساط التي ما زالت تمارس الدعاء وتقوم بالصلاة، ما زالوا يتحدثون بإسهاب عن الأشخاص الذين تم شفاؤهم عن طريق التضرعات للباري عز وجل، أو لأوليائه الصالحين، أما بالنسبة للأمراض القابلة للشفاء تلقائياً، أو بمساعدة الأدوية والعقاقير العادية فإنّه من الصعب أن نعرف العامل الحقيقي الكامن وراء الشفاء، أما في الحالة المرضية التي لا يمكن فيها تطبيق العلاج على الشخص المريض، أو عندما نطبّقه ولكن دون جدوى ودون أن تعطي النتائج الشفائية المرجوّة، في هذه الحالة يمكن أن نلاحظ دور الدعاء الأكيد في شفاء الأمراض المستعصية.

إن المكتب الطبي التابع لـ «لورد»[1]، أدّى خدمة كبيرة للعلم عندما برهن على أن حقيقة شفاء كثير من الأمراض المستعصية كان بفضل الدعاء وحده.

وهكذا فإن للدعاء قوة سريعة في الشفاء[2] حتىٰ يمكن

= الطب والجراحة عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، وهو أول من أبدع في ربط العروق بعضها ببعض، توفي عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م).

(١) Lourdes: منتجع طبي في أعالي جبال البيرنه قرب مدينة بو «Pau» الفرنسية.

(٢) لا بد وأن أسجل هنا ما شاهدته في هذا المجال بالنسبة لي ولقد ذكرت في المقدمة أن سبب شفائي من حصىٰ الكلية اليمنىٰ كان عبر الاستشفاء بتربة الإمام الحسين عليه السلام والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ولدى مراجعاتي للطبيب المختص بعد ذلك لمدة لا تقل عن سنة وإجراء الفحوصات أكّد الطبيب المختص انّ الكلية اليسرىٰ يوجد =

Digitized by Google

تشبيهها بسرعة الانفجار، هذا وإن كثيراً من المرضىٰ تم بفعل العاطفة الصادقة وعن طريق الدعاء للشفاء من أمراض خطيرة مستعصية كمرض الغرّاض الجلدي[1] في الوجه «lupus» وكالسرطان، وتعفن الطحال، والقرحة، والتدرن الرئوي، أو سل العظام، أو السل في الحجاب الحاجز[2].

ويقول في مكان آخر من كتابه عن دور الدعاء في التغلب على الأمراض النفسية والعصبية: وفي صمت هذه الملاذات الروحية يستطيع الناس أن يرتفعوا بتفكيرهم نحو الإلٰه، فيريحوا عضلاتهم وحواسهم، ويهدئوا أعصابهم، ويجلوا بعبرتهم، ليجدوا خلال ذلك: القوة الروحية التي تساعدهم على تحمل مشاق حياتهم العصبية التي تثقل كاهل الحياة المدنية الحاضرة، هذا وحين يغدو الدعاء عادة[3] يصبح ذا أثر قوي على الطباع، من أجل ذلك ينبغي

= فيها الحصىٰ فقلت له ما العمل، فأجابني ليس عليك إلا أن تعمل كما عملت بالنسبة لليمنى وأن تدعو إلى الله لإزالتها كما أزالها من تلك، وتحاورنا قليلاً في الموضوع ولكني استغربت من كلامه لجهتين الأولى أنه لم يباشر علاجي من ذي قبل والقضية قد مضت عليها أشهر مما يبدو أن الطبيب المباشر قد أخبره بذلك، والجهة الثانية والتي هي الأهم أن طبيباً أجنبياً بلندن يوصيني بالدعاء للتخلص من حصىٰ الكلية.

(١) الغراض الرئوي: ويقال له الذئبة أيضاً، وهو مرض جلدي نسب إلى الذئب لكثرة ابتلائه به ـ المعد.

(٢) الدعاء: ٦٣، تأليف الدكتور ألكسيس كارل ترجمة الدكتور محمد كامل سليمان.

(٣) أراد بالعادة كثرة الدعاء، والإلحاح.

Digitized by Google

أن نواظب على الدعاء[1].

وقال أيضاً: «كما أن تأثير الدعاء يمكن أن يقارن بشكل من الأشكال بتأثير الغدد الصماء ذات الفرز الداخلي كالغدة الدرقية والغدة الكظرية[2]، وختم كلامه بقوله: «تلكم هي آثار الدعاء في الشفاء التي يوجد عندي معرفة يقينية بها لأنني عايشتها عن كثب»[3].

---

(١) كتاب الدعاء: ٤٤، جاء في جريدة العرب اللندنية، الصادرة يوم الثلاثاء: ١٧/ ١٢/ ١٩٩٦م (١٤١٧هـ)، الصفحة: ١٢ تحت عنوان: «الإيمان الديني يساعد في الشفاء» ما يلي: «بوسطن ـ أظهرت دراسة أذيعت أمس الاثنين أن معظم أطباء العائلات يعتقدون أن المعتقدات الدينية يمكن أن تساعد في الشفاء، وقال: ٩٩ في المائة من الأطباء الذين شملتهم الدراسة أن الدين يمكن بالفعل أن يجعل الناس أكثر صحة، واستطلعت الدراسة التي أجريت في اجتماع الأكاديمية الأمريكية لأطباء العائلات في أكتوبر (تشرين الثاني) آراء ٢٦٩ طبيباً وتذاع اليوم في إطار مؤتمر عن الروحانية، والعلاج يعقد في كلية طب جامعة هارفارد ويستمر ثلاثة أيام، وقال الدكتور هربرت بنسن رئيس معهد العقل والجسد الطبي في مركز بيث إسرائيل ديكونس الطبي في بوسطن: «شهد الأطباء على مر العصور حالات شفاء لا يمكن أن يرجعوها إلى خطوات العلاج الطبي وحدها»، وأضاف: «بدأ العديد من الأطباء حالياً يؤكدون أن الإيمان يمكن أن يؤثر تأثيراً عميقاً على الصحة والسعادة ويعتبرونه جزءاً لا يتجزأ من خطة العلاج التقليدية»، وقال: نحو ٩١٪ من الأطباء الذين استطلعتْ آراؤهم قالوا: «إن عدداً من مرضاهم سعى لمساعدة رجال دين لمساعدتهم على حل مشكلاتهم الصحية».

(٢) الدعاء: ٥٦.

(٣) الدعاء: ٦٦. وهنا أحببت أن أذكر مقارنة بين ما ينقله الدكتور كارل في كتابه الدعاء: ٦٥ من ظاهرة الشفاء لدى الدعاء التي تحدث دائماً =

Digitized by Google

وفي هذا الاتجاه يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء»[1]، ولنا في ذلك تجارب لا مجال للتشكيك في هذا الأمر[2].

٢ ـ الراحة والطمأنينة:

إن من آثار الدعاء جلاء القلوب وصفاؤها وتزكية النفوس وصقلها، وذلك لأن الذي يمارس تلاوة الدعاء ويتوجه إلى بارئه يصل إلى قناعة تامة بأنّ لديه الحل النهائي عندما تغلق أمامه كل السبل، فلا يوصد أمامه باب السماء الذي تعَوَّد أن يأخذ عبره ما يريد في حدوده ومصلحته، وسيزداد إيماناً وطمأنينة إذا ما رفض طلبه حيث إنه يؤمن بالمصلحة الإلٰهية.

يقول السيد هبة الدين الشهرستاني[3]: «إن الركن الأساسي

= بنفس الأسلوب تقريباً: «فخلال بضع ثوان أو بضع ساعات على الأكثر تختفي علامات المرض والجروح التشريحية تلتئم معجزة الشفاء بعد ذلك بسرعة هائلة تختصر مراحل العلاج العادية بشكل مذهل بعدما يعاني المريض ألماً شديداً ثم يعقبه الشعور بإمكان الشفاء» وبين ما نراه عند مراقد أوليائنا أو بعد شفاء المريض بدعاء نفسه أو أحد أقاربه حيث يتم الشكل الذي ذكره الدكتور كارل تقريباً حيث يعاني المريض ألماً ورجفة غريبة ويتمثل للشفاء بعد الشعور به.

(١) الكافي: ٢/ ٣٤١.

(٢) كان على سماحة المؤلف أن يذكر بعض العيّنات من تجاربه دعماً للموضوع ـ المعد.

(٣) هبة الدين الشهرستاني: هو محمد علي بن حسين الحسيني الحائري (١٣٠١ ـ ١٣٨٦ هـ) من أعلام الإمامية، كان له دور في استقلال =

Digitized by Google

في إصلاح شأن الدعاء تزكية النفس وتقديس النية من كل فساد وباطل والتوجه نحو الكامل»[1].

ويقول الدكتور كارل بعد بيانه آثار الدعاء على الجانب الروحي وعدم التزام الغرب به رغم أهميته: «وفي الواقع ان تنمية الجانب الروحي هو أكثر ضرورة للنجاح في الحياة من الجانب المادي والذهني»[2].

ثم يقول: «فإنه ـ أي الدعاء ـ يترك أثراً على السلوك الإنساني، فهو يقوّي جانب التقوىٰ والجانب الخلقي فينا في وقت معاً»[3].

ثم يضيف قائلاً: «هذا التحول يتقدم يوماً بعد يوم حتىٰ يمكن القول بأن شعلة وهّاجة تتأجج في أعماق الوعي الإنساني فيرى الإنسان في ضوئها نفسه على حقيقتها فيكتشف أنانيته وجشعه، كما يطّلع أيضاً على خطأ الأحكام التي يصدرها مدفوعاً بعجرفته وغطرسته مما يحدو به للإنكباب على القيام بواجبه

= العراق والنضال ضد المحتل البريطاني، تولى وزارة المعارف بالعراق، ثم رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري، فنائباً في المجلس النيابي، له خدمات جليلة، ومن مؤلفاته: الهيئة والإسلام، نهضة الحسين، وفيض الباري.

(١) أدعية القرآن: ١٧.

(٢) الدعاء: ٢٨.

(٣) الدعاء: ٥٦ ويقول في صفحة: ٧٤ «لقد تعلمنا من تجارب قاسية: أن فقدان الاتجاه الخلقي وضمور التوجه الروحاني عند غالبية أبناء الوطن الفاعلين تدفع بهذا الوطن نحو الانحطاط والسقوط أو نحو الاستعباد للغريب».

Digitized by Google

الخلقي، إنه يحاول أن يكسب الخشوع النفسي، وهكذا تنفتح أمامه مملكة النعمىٰ الإلهية.

وهكذا شيئاً فشيئاً يصبح عنده نوع من الطمأنينة الباطنية، ونوع من الانسجام في النشاطات العصبية والأخلاقية، كما يقوم عنده نوع من التجلد الكبير لتحمل الفقر والترفع عن النميمة، وعدم الاستسلام للهواجس المريبة، وتتولد عنده قدرة روحية لا تتركه يتضعضع أو يضعف أمام فقدانه لأحد من ذوي قرباه، ولا يهون أمام الألم والمرض والموت»[1].

«وهكذا فإن الدعاء يرفع الناس فوق مستواهم الذهني الذي ينتمون إليه سواء بالتربية أو بالوراثة.

هذا الاتصال الروحي بالله عبر الدعاء يغمرهم بالسلام والثقة بالنفس كذلك فإن السلام يشع من ذواتهم الطاهرة مما يجعلهم يحملون السلام للناس في كل مكان يحلون فيه»[2].

وأخيراً يقول: «فالدعاء معراج روحي للإنسان نحو الله وبالدعاء يتغلغل الله في أعماق ذواتنا، وهكذا يتبدّى لنا أن الدعاء ضرورة لا يَستغني عنها لرقي الإنسان وتساميه نحو الأمثل والأفضل»[3].

هذا وقد كشف عدد من الأطباء أن للدعاء أثراً بالغاً في شفاء المريض، بل صرّح بعضهم بأن الطبيب إذا لم يقرن عمله الطبي والجراحي بالدعاء عد خائناً، وأضاف: بأن الطب وحده لا

---

(١) الدعاء: ٥٧.

(٢) الدعاء: ٥٩.

(٣) الدعاء: ٨٥.

Digitized by Google

يكفي للشفاء، وقال أيضاً: بأن الأطباء جميعهم سيصلون إلى هذه الحقيقة إن عاجلاً وإن آجلاً، إذ لا بد من مقارنة العلاج بالدعاء، ويعزو هذا الأمر إلى التجارب العلمية والعملية لفترات مديدة[1].

ومن هنا يبقىٰ الدعاء ضرورة من ضرورات المجتمع، إذ به قوام الفرد والمجتمع الخاليين من العاهات النفسية والروحية، وفي هذا المجال يقول الدكتور كارل: «فإن الدعاء أشبه ما يكون بعملية التنفس عند الإنسان وكذلك فإن الدعاء يعتبر عاملاً ضرورياً لا غنىٰ عنه لتوثيق الوشائج والصلات الطبيعية بين الوعي وبين بيئته الخاصة، ويعتبر الدعاء أيضاً حيوية بيولوجية[2] مرتبطة ببيئتنا، وبتعبير آخر فإن الدعاء يعتبر وظيفة طبيعية للروح والجسد في آن معاً بحيث لا يمكن الاستغناء عنها أبداً»[3].

وأخيراً فقد قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[4]

٣ ـ الحصانة:

يقول المثل المستخلص من الحديث الشريف: «الوقاية خير من العلاج» والذي يشير إلى معادلة دقيقة وهي أن الوقاية أولاً حتىٰ لا نحتاج إلى العلاج، والعلاج يأتي عند العجز أو التجاوز

---

(١) القناة الفضائية «الجزيرة» الساعة ٥,١٥ صباح يوم الاثنين ٢٢/ رمضان/ ١٤٢١ هـ = ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٠ م، مقابلة مع عدد من الأطباء الأوروبيين.

(٢) البيولوجيا: كل ما يرتبط بعلم الأحياء.

(٣) الدعاء: ٨١.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

Digitized by Google

عن الوقاية فهي ثانياً، ويقول الفلاسفة: بأن عملية الدفع مقدم على عملية الرفع، فالدفع إذاً خير من الرفع.

فإذا اعترفنا بأن الله هو القادر المطلق ولا يمكن أن يقف أمام إرادته شيء أبداً، فالطلب بخلق حصانة عن البلاء قبل وقوعه هو المتعين، بل هو الحل الذي تفرضه الحقيقة العقلية، والواقع المعاش، فلماذا انتظار وقوع الواقعة حتىٰ نسعىٰ إلى رفعها، ومسألة الدفع أهون من الرفع بدرجات، والدفع أنقىٰ للقلب وأصفىٰ للنفس وأصلح للعمل وأطهر للبيئة.

وما دام الله لم يحجبنا عن الاتصال به، بل أودع فينا الوسائل الناجعة وبيّن الطرق القصيرة لذلك، بل أكثر من ذلك، حيث طلب منّا: أن نستخدمها ثم وعدنا بالاستجابة حصانة لنفوسنا وعقولنا وأجسامنا وبيئتنا مجتمعة، فالمفروض أن لا ندع النوبة تصل إلى مرحلة الرفع ووقوع الواقعة، فَلْنَبْنِ لأنفسنا حصوناً قويّة وقلاعاً متينة في هذا الاتجاه صيانة من كل فاسد وبلاء، وتجنباً من جميع العاهات والأمراض الروحية منها والجسدية.

هذا ويذكرنا أئمة الإسلام دوماً بأهمية الدعاء ودوره وبمرتبته السامية بحيث يمكنه أن يرد القضاء الإلهي، ويقف أمامه سداً منيعاً حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الدعاء يرد القضاء، ينقضه كما ينقض السلك وقد أُبرم إبراماً»[1]، وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله

(١) الكافي: ٢/ ٣٤٠، وقريب منه في عدة الداعي: ١٧ عن الإمام الباقر عليه السلام وأبيه السجاد عليه السلام.

Digitized by Google

يردّ البلاء وقد قدّر وقضى ولم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعي الله عز وجل وسئل صَرْفَ البلاءِ، صَرَفَهُ»[1]، وقد قال جل وعلا: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] فيما إذا عمل الداعي بالمقولتين الإلهيتين، الأولىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3]، والثانية: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

اللهم اجعلنا مؤهلين بذلك لنستخدم السلاح الذي أبحته لنا وهو: الدعاء، الذي جعلته سلاح المؤمنين بك، وقد قال علي عليه السلام: «الدعاء ترس المؤمن»[5]، وقال الكاظم عليه السلام: «إن الدعاء يرد ما قدر وما لم يقدر»[6]، وعن السجاد عليه السلام: «الدعاء يرد البلاء النازل وما لم ينزل»[7].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «لا يرد القضاء إلّا الدعاء»[8].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض»[9].

---

(١) الكافي: ٢/ ٣٤١.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٥) عدة الداعي: ١٦.
(٦) عدة الداعي: ١٦.
(٧) عدة الداعي: ١٧.
(٨) مكارم الأخلاق: ٢٦٨.
(٩) مكارم الأخلاق: ٢٦٨.

Digitized by Google

Digitized by Google

مقارنة

لو صحت المقارنة بين طلب الإنسان مِنْ مثله، وبين طلبه من خالقه، لكان بينهما بون شاسع، ومع هذا فإنّ كثيرين يتوجهون إلى المخلوق، رغم هذا الفارق المبان. ولعل أبرز الفوارق هي كالآتي:

١ ـ الشعور بالعز:

إن استدعاء الإنسان من قرينه لا يؤدي به إلا الشعور بالذُّل وإحباط النفس وتحطيم الشخصية، وهذا طبيعي لأنه مثله يمتلك ما يمتلك ويفتقر إلى ما يفتقر إلا في بعض الجزئيات كالغنىٰ والفقر والقوة والضعف النسبيين.

وأما دعاؤه لله سبحانه وتعالى فيشعره بالعز والافتخار ويعطيه شخصية مثالية تفوق سائر الشخصيات الأخرىٰ، وبالنتيجة فلا يشعر بالذنب ولا يُلام حتىٰ في حال عدم استجابة دعائه، ونقرأ في مناجاة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إلٰهي كفىٰ بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفىٰ بي فخراً أن تكون لي ربّاً»[1].

(١) الخصال: ٤٢٠، وعنه بحار الأنوار: ٩١/ ٩٢.

Digitized by Google

٢ ـ القدرة المطلقة:

عندما يتجه الإنسان في حاجته إلى جهة ما، لا بد وأن يدرس جوانب قضيته لتكون النتائج مرضية، وعلى الأقل أن لا يلوم نفسه على فعلته هذه إذا لم يوفق إلى حصول ما توخّاه.

فإذا اتجه الداعي إلى الله سبحانه وتعالى فهو لا يشعر بالندم ولا الذنب، حيث أنه أقدم على أقدر قدرة في الوجود والذي بإمكانه أن يفعل ما يريد بمستوىٰ أن يقول للشيء كن[١] فيكون[٢]، واستجابة هذه القوة للدعاء لا يحجبها البخل وما في فلكه من الصفات النفسية، بل بالعكس تماماً فإنها ذات صفات كمالية ما فوقها من صفات... فالله يحبّ العطاء والكرم، واللطف والرحم، بل إنّها عين ذاته، بخلاف ما إذا أقدم الإنسان

---

(١) إن مسألة الكنفكونية شرحها سماحة المؤلف في موقع آخر من موسوعته الخالدة، وبيّن الفرق بين استخدام الخالق ذو القدرة المطلقة وبين استخدام المخلوق الضعيف والمطيع لخالقه دون حدود، حيث أنها في الأول نابعة عن ذاته، بينما في الثاني تفضّل بها الخالق على مخلوقه تكريماً له، للإطاعة المطلقة للقدرة المطلقة وبإذنه، ومن هنا ورد في الحديث: عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشيء كن فيكون ـ راجع دراسة الدكتور هادي حمودي لفصل «العقل» من الحسين والتشريع الإسلامي من دائرة المعارف الحسينية ـ المعد.

(٢) هي مضمون أربع آيات إحداها من سورة البقرة الآية: ١١٧ واثنتان منها من سورة آل عمران الآية: ٤٧ و ٥٩ وأخرىٰ من سورة الأنعام الآية ٧٣. فالأوليتان: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ والثالثة: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ والرابعة: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾.

Digitized by Google

في طلب حوائجه إلى مثله وقرينه فإنه إن قدر فقدرته محدودة، وإن أعطى فإن عطاءه يقترن بمصالح شخصية، وإن أمسك ففي إمساكه إحدى الصفات الذميمة إلا إذا كان الإمساك لله فهو على مستوى الأولياء.

وعندما يتوجه العبد إلى خالقه القادر المطلق فإنه يتوجه إليه توجه المضطر الذي لا ملجأ سواه، حيث يوصي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجله الإمام الحسن عليه السلام «وأخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان»[1]، ولقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه عيسى بن مريم عليه السلام: «أدعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث، يا عيسىٰ سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة»[2].

فالاعتراف بل العلم بقدرة الله بالإضافة إلى آثاره النفسية فإنه أمر طبيعي إذ أن غير القادر يطلب من القادر، فقد قال جل وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[3]، وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «قال الله عز وجلّ من سألني هو يعلم أني أَضرُّ وأنفع استجبت له»[4]، فلنكن بهذا المستوى عند طلبتنا منه جل وعلا.

---

(١) نهج البلاغة ـ الكتاب: ٣١.
(٢) عدة الداعي: ١٣٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٤) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٠٥، عن عدة الداعي: ١٠٣.

Digitized by Google

Digitized by Google

حدود الدعاء

إن الدعاء غير مؤطر بالأُطر الضيّقة التي رَسمها البعض وصورها الآخرون وتخيّلها من لا يدرك كنهه، فجعله أمراً عبادياً صرفاً لا يمتّ إلى حياتنا اليومية بصلة، فإذا ما تدبرنا نصوص الأدعية المأثورة عن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام[1] نجد أن حدودها تختلف تماماً عما أشيع عنها، ولعل أهم هذه الأطر هي كالتالي:

١ ـ إن الدعاء طريق سليم لنشر العلم من خلال آياته وبنوده، وفيه الكثير من المعارف الإسلامية والعلمية التي نحن بحاجة إليها في حياتنا اليومية، وقد أودعها أهل البيت عليهم السلام في الأدعية الواردة عنهم، ولنشر إلى عينة علمية من تلك العينات المتناثرة في طي دعاء الثغور الذي دعا به الإمام زين العابدين عليه السلام لنصرة الجيوش الإسلامية وهزيمة الجيوش الكافرة[2] فقال:

---

(١) إنما قيّد سماحة المؤلف الدعاء بالمأثور لخلو الأدعية الأخرى من المضامين الروحانية العالية أولاً، وتفريغها من المادة العلمية ثانياً، حيث أن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم امتداد لمدرسة السماء التي وهبت لنا كل المعارف دون استثناء ـ المعد.

(٢) يشير سماحة المؤلف في مكان آخر من موسوعته الرائدة إلى أن هذا الدعاء أنشأه أثناء فتح المسلمين لغثور الأندلس، مما يدلنا على مدى سماحة قلب أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث لا يبالوا بطعنات بني أمية =

Digitized by Google

«اللهم امزج ماءهم بالوباء» فإنه عليه السلام يريد بيان أن انتقال عدوى الوباء يكون عن طريق الماء دون غيره من الأمور، وهذا ما تنبه إليه الغرب في هذا القرن بعد جهد جهيد، ولهذه النظرية قصة طريفة ننقلها بالمناسبة، وهي: إن في عهد ناصر الدين القاجاري[1] دخل إلى إيران طبيب أجنبي فاحتفلت به إيران حكومة وشعباً، فوقف فيهم خطيباً ليشكر الذين احتفلوا به، فقال: إنني خدمت الإنسانية خدمة ما سبقني إليها أحد من الأولين، وذلك أنني اكتشفت أن طريق الوباء والأمراض المعدية ـ مثل الكوليرا ـ وغيرها يمر عبر الماء، فأنا أول مكتشف لهذا..

وكان ممن حضر هذا التجمع الشيخ الآشتياني[2] فالتفت إلى الطبيب وقال: يا حضرة الطبيب نحن سبقناك إلى هذا الاكتشاف منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام.. فبهت الطبيب وقال: وكيف ذلك؟ فقال الآشتياني: نعم، لقد ورد عن إمامنا

= وآخرون لهم، بل يقفون مع أي حدث يكون فيه قوة للإسلام والمسلمين ـ المعد.

(١) ناصر الدين القاجاري: هو ابن محمد الثاني ابن عباس ميرزا بن فتح علي (١٢٤٧ ـ ١٣١٣ هـ) رابع سلاطين الدولة القاجارية، حكم بعد أبيه عام ١٢٦٤ هـ ومات مقتولاً، فحكم بعده ابنه مظفر الدين، له عدد من السفرات إلى الغرب، كان مقر حكمه طهران.

(٢) الآشتياني: هو محمد حسن بن جعفر بن محمد الطهراني (نحو ١٢٤٨ ـ ١٣١٩ هـ) كان من أعلام الإمامية بطهران، ولد في أشتيان، وتوفي في طهران حيث سكنها عام ١٢٨٢ هـ، له من المؤلفات: مباحث الألفاظ في الأصول، وكتاب القضاء في الفقه، وكتاب الوقف، وله مواقف إسلامية ووطنية مع السلطان ناصر الدين القاجاري.

Digitized by Google

الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام زين العابدين عليه السلام ذلك.

فقال الطبيب: أصحيح ما تقول؟ قال: نعم فطلب الصحيفة السجادية فجاؤوه بها فقرأ على الطبيب دعاء الثغور وفيه: «اللهم امزج ماءهم بالوباء» فدهش الطبيب من عظمة أهل البيت عليهم السلام[1].

ولا شك أن الأدعية المنصوصة تتضمن الكثير من التعاليم الإسلامية حول مختلف القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية إلى غيرها[2] من المجالات المختلفة التي نمارسها في حياتنا اليومية.

---

(١) حقيقة الدعاء في الإسلام: ٣٩، كتاب الإمام زين العابدين للمقرم: ٨٠.

(٢) وقد ورد في الكثير من الأدعية بيان مواضيع علميّة كالأمور الفلكية وأصل التكوين مما لا مجال لذكرها كما هو ملاحظ في دعاء الصباح وغيره، ومنها قوله عليه السلام «يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه».
وجاء في قوله: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» تفسيره من الإمام الصادق عليه السلام أنه ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله فيراه الملائكة فيصلّون ويستغفرون له وإذا اشتغل العبد بمعصيته أرخىٰ الله تقدّست نعمته على مثاله ستراً لئلا تطّلع الملائكة عليه «الإمام زين العابدين للمقرم: ٨٧ عن مفتاح الفلاح للبهائي: ١٥٦». مما يدلنا أن في سماء الدنيا التي هي مركز أعمال هذه الأرض وفيها ملائكة دائبون على أعمال العباد أدوات كالتلفزة تصوّر ما يفعله العبد والله سبحانه وتعالى يغطي على معاصي عبده بستار الظلمة عليها حين يشاء، كما وردت روايات أخرى في ذلك.

Digitized by Google

٢ ـ لقد ورد في دعاء كميل: «اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء.. ارحم مَنْ رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء»[١]، فالمؤمن لا يملك الدفاع عن نفسه إلا بالدعاء، ويثنيها بالبكاء والتضرع لدى الله العليّ القدير لكي يجنب نفسه من أهوال القيامة تارة، ويقصف به مراكز الظلم والظالمين تارة أخرى، فالدعاء لديه أقوى سلاح وأنجح طريق للقضاء على الطغاة، وقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «الدعاء سلاح المؤمن»[٢].

هذا وما زال التاريخ يحدثنا عن نتائج دعاء المظلوم على الظالم وأثره الفعّال في سير الأحداث، وهناك عينات حيّة وقعت وتقع يومياً، وما عمل الإمام الحسين عليه السلام بأرض الشهادة[٣] من الدعاء على بعض من جرحه بلسانه إلا واحدة من تلك العينات، ورأينا كيف كان دعاءه سريع القصف ففور خروج الكلام من حلقه الشريف وتفوّهه بالدعاء على العدو إلا ودَمُغ الظالم في مكانه، وما ذلك إلاّ لأنها كلمات خرجن لله من قلب مجروح في الله لتقصف ذلك الظالم في سبيل الله.

٣ ـ إن مَنْ يمارس الدعاء بالمأثور يتألق في جو مفعم بالصفاء والطمأنينة ويتحلق في أبعاد مختلفة تخرجه من عالم الماديات لتضعه على أجنحة من النور بعيدة عن الحقد والكراهية

---

(١) دعاء كميل ودعاء الصباح: ٢٢.

(٢) الدعاء معراج الروح ومنهاج الحياة للمدرسي: ٣٩ عن البحار: ٩٠/ ٢٨٨.

(٣) وحتىٰ لا نكرر الكلام فيمكن مراجعة هذا الباب لمشاهدة الأدعية التي تلاها على الظالمين وأثرها الفعّال.

Digitized by Google

وسائر الصفات الدنيئة فيرجع به محباً لعمل الخير، تواقاً لإسعاد الناس، وإنعاش الروحانية بين جوانح الإنسان.

فالجانب الخلقي والصفاء الروحي هو أرقىٰ الجوانب في هذه الحياة المليئة بضوضاء اللاأخلاقية، وطمأنينة النفس لهي الأرضية الصالحة للخير والسعادة الأبدية..

Digitized by Google

Digitized by Google

آداب الدعاء

نقصد بآداب الدعاء هنا الأمور التي من شأنها أن تخلق للإنسان أجواء أكثر إيجابية للدعاء، وهذا يعني أن الدعاء بدونها يتم، إلا أنه يزداد معها بهاءً وصفاءً ومعنويةً واستجابة ومن تلك الآداب:

١ ـ الكون على الطهارة:

فلقد أدّبنا الإسلام بالكون على الطهارة، وحثّنا في كثير من الموارد على الوضوء، وجعله شرطاً في صحة الصلاة التي هي معراج المؤمن، وعند الطواف حول بيته الحرام.

وقد عدّ الفقهاء من موارد استحباب الوضوء عند الدعاء وطلب الحاجة من الله تعالىٰ[1]، لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من طلب حاجة وهو على غير وضوء فلم تقض فلا يلومن إلا نفسه»[2] بتقريب أن المراد بطلب الحاجة من الله تعالىٰ أعم منه ومن غيره.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي ذر: «إذا نزل بك أمر عظيم

(١) العروة الوثقىٰ: ١/ ١٩٤.

(٢) الفقه: ٨/ ٤٦ عن وسائل الشيعة: ١/ ٢٦٢.

Digitized by Google

في دين أو دنيا فتوضأ وارفع يدك، وقل يا الله سبع مرات، فإنه يستجاب لك»[1] إلى غيرها من الأحاديث.

٢ ـ استقبال القبلة:

ومن الآداب الإسلامية العامة تَوَجُّه الإنسان نحو الكعبة لمن حولها وإلى اتجاهها أعني القبلة لمن بَعُدَ عنها في حالات التوجه إلى الله والتي منها الصلاة والذبح وغيرهما، وقد صرح العلماء بأنّ من مواردها حال الدعاء[2]، لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل رواه ابن قولويه[3] في كتابه كامل الزيارات: إن رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة فعملت له حريرة ـ إلى أن قال ـ فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عرفنا منه السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء مليّاً ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو ثم خر ساجداً[4]... الحديث.

سأل هارون بن خارجة[5] الإمام الصادق عليه السلام عن الدعاء

---

(١) الفقه: ٨/ ٤٦ عن مستدرك وسائل الشيعة: ١/ ٤٢ عن بحار الأنوار: ٧٧/ ٣٢٨.

(٢) العروة الوثقىٰ: ١/ ٥٤٨.

(٣) ابن قولويه: هو جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي المتوفىٰ عام ٣٦٨ هـ في الكاظمية وكانت ولادته في قم، من أعلام الإمامية، له: كتاب القضاء، وكتاب الشهادات، وتاريخ الشهور والحوادث.

(٤) الفقه: ١٨/ ٢٦ عن مستدرك الوسائل: ١/ ٣٥٨.

(٥) هارون بن خارجة: المكنىٰ بأبي الحسن الأنصاري الكوفي الصيرفي، كان من ثقاة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وله كتاب.

Digitized by Google

ورفع اليدين فقال عليه السلام: علىٰ أربعة أوجه اما التعوذ فتستقبل القبلة ببطن كفيك.. الحديث[1].

٣ ـ عدم الجهر بالدعاء:

ولا يراد بذلك عكسه أي الدعاء خفية، بل المراد به عدم الإجهار به لأنه أبعد من الرياء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[2] وفسرها الطبرسي بارفعوا أصواتكم قليلاً ولا تجهروا بها جهاراً بليغاً حتى يكون عدلاً بين ذلك[3]، وقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه عندما رفعوا صوتهم بذكر الله: «أما إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً معكم»[4].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية[5]، ولعل لها توجيهاً نفسياً حيث أن الصوت الخافت (غير المجهر) له تأثير في النفس وأقرب وقعاً ولذلك نرىٰ أن الذين يتعاملون مع الأرواح أمثال المنومين المغناطسيين فإنهم يستخدمون الصوت الخافت حيث أن تأثيره الإيحائي أقوىٰ بالنسبة إلى المنوَّم (بالفتح)، بينما نرىٰ أن الجهر والصخب يلهي الإنسان عن التوجه إلى الله، وما دام العمل لم يكن ممارسة شعارية فلا معنى لرفع الصوت به كثيراً، وأما إذا وصلت إلى حد التمتمة

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٣٩ عن مكارم الأخلاق: ٣١٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٣) مجمع البيان: ٧٩٢.
(٤) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٣.
(٥) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٢.

Digitized by Google

فلعلها تخسر قيمتها المعنوية والمادية معاً، ومن أعمال الشعائرية رفع الصوت بالصلاة على محمد وآله حيث ورد في أمثالها محبوبية رفع الصوت.

٤ ـ اختيار الزمان:

لا شك أن للزمان دوراً في عمل الإنسان مهما كان عمله، فعليه: لا بد من اختيار الفترة المناسبة لعمله[١]، وبالنسبة إلى الدعاء فقد خَصَّص المجلسي[٢] في البحار[٣] باباً خاصاً يذكر فيه الأحاديث المحدِدَة للأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، وحتىٰ لا نسرد الأحاديث بطولها وتشعباتها نذكر أهم الأوقات التي أشار إليها، وهي على قسمين: قسم حدد بالساعات، وقسم آخر حدد بالأعمال والأحداث.

فالأول: السحر ـ أي قبيل طلوع الفجر ـ إلى طلوع الشمس[٤]،

---

(١) يقول الدكتور كارل عن ذلك في كتابه الدعاء: ٤٩ «يترك الدعاء دائماً نتيجة إيجابية إذا أتي به في الأوقات المناسبة».

(٢) المجلسي: هو محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١١ هـ) ولد في إصفهان وتوفي بها، كان من أعلام الإمامية، له مؤلفات كثيرة، منها: مرآة العقول، حلية المتقين، تحفة الزائر.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/٣٤٣ ـ ٣٤٥. والفصل الثاني من الدعوات للرواندي: ٢٢ ـ ٤٤ وفيه ٨١ حديثاً.

(٤) وبعض الروايات ترىٰ أن وقت الاستجابة من منتصف الليل إلى الفجر كما جاء في التهذيب: ٢/١١٨ حيث سأل السابوري الإمام الصادق عليه السلام قال: جعلت فداك إن الناس يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إن في الليل لساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن بدعوة إلا استجيب له؟ =

Digitized by Google

عند الزوال[1]، وبعد المغرب، وأفضلها يوم الجمعة، فقد قال الصادق عليه السلام: «يوم الجمعة سيد الأيام وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحىٰ، وفيه ساعة[2] لم يسأل الله عز وجل فيها أحدٌ شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً»[3]، وأفضل أوقاته وقت السحر حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[4] قال عليه السلام: «أخرهم[5] إلى السحر ـ من ـ ليلة الجمعة»[6].

وأما الثاني: إثر المكتوبة[7]، عند قراءة القرآن، عند

= قال: نعم، قلت: متىٰ هي؟ قال: ما بين نصف الليل إلى الثلث الباقي، قلت: ليلة من الليالي أو كلّ ليلة؟ فقال: كل ليلة.
وجاء في الخصال: ٦١٥ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أجيبوا داعي الله، واطلبوا الرزق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإنه أسرع في طلب الرزق من الضرب في الأرض..» مما يدل على أن للزمان خصوصيات ولكل ساعة امتيازات.

(١) فقد أورد الكليني في الكافي: ٢/ ٣٤٧ حديثاً رواه بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان أبي إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس».

(٢) هناك ساعتان معروفتان الأولى قبيل الفجر أو بعيده، والثانية قبيل المغرب وفيه يستحب دعاء السمات.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٧ عن الدعوات للراوندي: ٣٥ ح: ٨٤.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٨.

(٥) أخرهم أي أخر يعقوب أبناءه لطلب الاستغفار لهم من الله ليوم الجمعة.

(٦) تفسير البرهان: ٢/ ٢٧١، ح ١٧ و ١٨.

(٧) المكتوبة: هي الصلوات الخمس الواجبة: الصبح والظهران والمغربان، =

Digitized by Google

الآذان، عند نزول الغيث، فقد ورد في حديث علي عليه السلام قال: «اغتنموا الدعاء عند خمسة مواطن: عند قراءة القرآن، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفين للشهادة، وعند دعوة المظلوم، فإنّها ليس لها حجاب دون العرش»[1]، وهناك ليالٍ معينة في الأسبوع والشهر والسنة لها خصوصياتها كليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان وليلة القدر، أو شهر رمضان بشكل عام، وقد ورد الحديث عنها في كتب الأدعية العامة[2].

٥ ـ اختيار المكان:

وكما للزمان شرافة فللمكان شرافة، ولقد ورد في ذلك جملة من الأحاديث، وذكر المجلسي في البحار: خمسة عشر

= فإذا لم يكن وقت المكتوبة فليصل ركعتين ويدعو الله تعالىٰ كما فعل يعقوب عندما دعا لأبنائه حين أراد أن يغفر لهم ذنوبهم، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين فأتم ركوعهما وسجودهما، ثم سلّم وأثنىٰ على الله عز وجل وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم سأله حاجته فقد طلب الخير في مظانّه، ومن طلب الخير في مظانه لم يخب» ـ بحار الأنوار: ٩٣/ ٣١٤، وفي الأمالي للصدوق: ١/ ٩٥، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أدى لله مكتوبة، فله في أثرها دعوة مستجابة».

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٣.

(٢) روي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «في ذي القعدة ليلة مباركة هي ليلة عشر ينظر إلى عباده المؤمنين فيها بالرحمة» راجع بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٩، وعدوا من تلك الليالي ليلة المولد النبوي، والمولد العلوي ومواليد سائر المعصومين عليهم السلام، وعيد الغدير، وليلة النصف من شعبان، وعرفة، وأمثالها.

Digitized by Google

موضعاً منها عند الميزاب، ومقام إبراهيم، وعند الحجر الأسود، وبين المقام والباب[١]، وجوف الكعبة[٢] إلى آخر ما ذكره، ويروىٰ عن الإمام الرضا عليه السلام عن مكة المكرمة أنه قال: «ما وقف أحد بتلك الجبال إلا استجيب له»[٣]، وروي أيضاً: «إن من الذنوب ما لا يغفر إلا بعرفة، والمشعر الحرام»[٤].

ومن تلك المواقع مرقد الإمام الحسين عليه السلام: حيث قال الإمام الهادي عليه السلام: «إن لله تعالىٰ مواضع يحب أن يدعى فيها، وحائر الحسين عليه السلام منها»[٥]، ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «إن الحسين صاحب كربلاء قتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً، فآلىٰ الله على نفسه أن لا يأتيه لهفان ولا مكروب ولا مذنب ولا مغموم ولا عطشان ولا من به عاهة، ثم دعا عنده وتقرّب بالحسين بن علي عليه السلام إلى الله عز وجل إلا نفَّس كربته وأعطاه مسألته وغفر ذنبه، ومدّ في عمره وبسط في رزقه»[٦].

---

(١) كل ذلك عند الكعبة.

(٢) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٩، وفي تفسير العياشي: ٢/ ٢٤١ تحدث عن المستجار قال: قال السجاد عليه السلام: «ان الله تعالى قال لآدم عليه السلام: من جاءني من ولدك فباء بذنبه بهذا المكان غفرت له».

(٣) عدة الداعي: ٥٦.

(٤) عدة الداعي: ٥٥.

(٥) كامل الزيارات: ٢٧٣.

(٦) بحار الأنوار: ٩٨/ ٤٦، وقد ورد في تاريخ بغداد: ١/ ١٢٠ للخطيب البغدادي فقد روى بإسناده إلى الحسن بن إبراهيم الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسىٰ بن جعفر فتوسلت به إلا سهّل الله تعالى لي ما أُحبّ.

Digitized by Google

هذا وقد وردت روايات كثيرة حول استجابة الدعاء في حرم الإمام الحسين عليه السلام: منها ما رواه ابن قولويه عن الباقر عليه السلام أنه قال لرجل: «يا فلان ماذا يمنعك إذا عرضتك حاجة أن تمضي إلى قبر الحسين صلوات الله عليه وتصلي عنده أربع ركعات، ثم تسأل حاجتك..» الحديث[1].

ومنها ما رواه محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام أيضاً يقول: «إن الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره...» الحديث[2]، إلى غيرها من الروايات، وإلى غيرها من الأماكن المفضلة للدعاء كالمسجد، حيث يقول معاوية بن عمّار[3] إنّ الإمام الصادق عليه السلام كان إذا طلب الحاجة طلبها عند زوال الشمس فإذا أراد ذلك قدّم شيئاً فتصدق به، وشم شيئاً من الطيب وراح إلى المسجد[4]، فدعا في حاجته ما شاء الله عز وجل[5].

وكل هذا يدلنا: على أفضلية بعض الأمكنة على غيرها،

---

(١) مفاتيح الجنان: ٤١٧ عن كامل الزيارات.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٢٤.

(٣) معاوية بن عمار: هو حفيد خبّاب بن عبد الله الدهني البجلي الكوفي، كان يبيع السابري بالكوفة، وكان من ثقاة أصحاب الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام توفي عام ١٥٠هـ وقيل ١٧٥هـ، كان من وجهاء الشيعة، له مؤلفات منها: مناسك الحج.

(٤) جاء في بحار الأنوار: ٨٠/ ٣٨٤ قال الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بإتيان المساجد فإنها بيوت الله في الأرض.. فأكثروا فيها الصلاة والدعاء».

(٥) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٥.

Digitized by Google

وربما اختص بعض الأدعية والطقوس بالذهاب إلى الصحراء كما في صلاة الاستسقاء، ومن تلك الأماكن مشاهد الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي ﷺ فأت المنبر وسل حاجتك فإن رسول الله ﷺ قال: «ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على بركة من ترعة الجنة»[1].

ويقول الدكتور ألكسيس كارل الفرنسي بالنسبة إلى مكان الدعاء: «نستطيع أن ندعو الله في كل مكان في الشارع، وفي السيارة وفي الباخرة، وفي المكتب، وفي المدرسة، وفي المصنع، ولكن الدعاء الأفضل والأكثر حرارة إنما يكون في البراري وفي الجبال أو في الغابات أو في غرفة منعزلة»[2] ويضيف قائلاً: «إنّ صوت الدعاء الخافت الذي يُهمس في أعماقنا، سرعان ما يختنق وسط ضجيج العالم وصخبه»[3].

٦ ـ التصريح بالحاجة:

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكن يحب أن يبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسم حاجتك، وما من شيء أحب إلى الله من أن

(١) الكافي: ٤/ ٣٥٣.

(٢) الدعاء لكارل: ٤٣.

(٣) الدعاء: ٥٠. ولا أظنه أراد بذلك ما يخلّ بالجانب الإلهي بل أراد أن الصخب يصرف توجه الداعي والذي مطلوب منه أن يتوجه بكلّه إلى الله تعالى ـ المعد.

Digitized by Google

يسأل»[1]، ويقابلها أيضاً التصريح بالذنب والاعتراف به لأنه نصف المسألة حيث لا يعقل أن تطلب من أحد أن يسامحك وأنت لا تعترف بخطئك، وهذا أمر غير منطقي فالاعتراف ثم السماح هو الذي يُمليه علينا المنطق، بل إن في الاعتراف بحد ذاته نوعاً من الندم[2] على ارتكابه، ويمهد الطريق للوصول إلى قبول التوبة، قال الباقر عليه السلام: «والله ما ينجو من الذنب إلا من أقرّ به»[3].

وعلى الداعي أن يصرح بحاجته حتىٰ إذا كانت صغيرة فقد قال الصادق عليه السلام: «لا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها، إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار»[4]، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتىٰ يسأله شسع نعله إذا انقطع»[5].

ولقد وردت روايات كثيرة في الاعتراف بالذنب والتصريح به لدى مناجاة العبد لربه، وقد عد هذا من عمل الأنبياء، كما في الأحاديث.

٧ ـ البدء بالبسملة:

إن للبسملة أي قول (بسم الله الرحمان الرحيم) خصوصية

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٢.
(٢) وفي حديث الباقر عليه السلام «كفى بالندم توبة» الكافي: ٢/ ٤٢٦.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٢٦.
(٤) الكافي: ٢/ ٣٣٩.
(٥) بحار الأنوار: ٩٠/ ٢٩٥.

Digitized by Google

أكثر[1] من كونها ذكر اسم الله، بمعنىٰ أن لهذه الهيكلية من تسمية الله امتيازاً على غيرها من الذكر له سبحانه، حيث اختاره على غيرها في بدء السور الكريمة بكتابه العظيم، فبالإضافة إلى الأحاديث المتواترة أمثال: «كل أمر ذي بال لم يذكر بسم الله فهو أبتر»[2] فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يردّ دعاءٌ أوله بسم الله الرحمان الرحيم»[3].

٨ ـ تقديم الدعاء بالتحميد والتمجيد:

إذا ما نظرنا إلى العرف الذي نعايشه منذ اليوم الأول نرىٰ أن طالب الحاجة يقدم بين يديه كلماتٍ تحمل نوعاً من الثناء والتبجيل ليرطب بها أجواء طلبه، ويطيّب بها عريضته واستدعاءه، ليضمن الاستجابة لها، فإن كان هذا حسناً فللمعبود أحسن، ولذا نرىٰ أن أهل البيت عليهم السلام يحثوننا على أن نقدم بين يدي نجوانا إلى الله تعالىٰ كلمات المجد والثناء عليه جلّ وعلا.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن المدحة قبل المسألة فإذا دعوت الله فمجده»[4].

وقال الصادق عليه السلام: «إذا أردت أن تدعو فمجّد الله عزّ وجلّ

---

(١) لسماحة المؤلف تجارب في هذا الاتجاه ذكرها في مقدمة باب الرؤيا مشاهدات وتأويل من دائرة المعارف الحسينية فليراجع ـ المعد.

(٢) بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٤٢، وفي بعض الأحاديث «كل أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أبتر».

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٣.

(٤) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٥ عن مكارم الأخلاق: ٣١٧.

Digitized by Google

واحمده وسبِّحه وهلِّله واثنِ عليه، وصلّ على النبي وآله عليهم السلام، ثم سل تعط»[1].

وقال أيضاً: «إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على الله سبحانه وليمدحه فإنّ الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام أحسن ما قدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله عز وجل العزيز الجبّار وامدحوه واثنوا عليه»[2].

ومن الذكر الجميل تقديم الأسماء الحسنىٰ لله حيث يقول جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[3]، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «لله عزّ وجل تسعة وتسعون اسماً، من دعا الله بها استجيب له»[4]، وَمِنْ ذلك أيضاً، قراءة القرآن، وفي حديث الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا خفت أمراً فاقرأ مائة آية من القرآن من حيث شئت، ثم قل: اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرات»[5].

٩ ـ تقديم الصدقة:

الصدقة هو مظهر لتصديقك بالله[6]، وإظهار لما يعتقده العبد

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٥ عن مكارم الأخلاق: ٣١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٥ عن مكارم الأخلاق: ٣١٨، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله» ـ راجع نهج البلاغة: الخطبة: ١٥٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) التوحيد للصدوق: ١٩٥.

(٥) بحار الأنوار: ٨٩/ ١٧٦ عن مكارم الأخلاق.

(٦) من هنا يعلم خطأ ما شاع من تحديد الصدقة وذلك بإعطاء بعض المال =

Digitized by Google

بسلوكية معينة، ولذلك جاء في الحديث: «إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[1]، فالصدقة نابعة عن التصديق، والتصديق يمهد لك الطريق للاستجابة، ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان أبي ـ الباقر عليه السلام ـ إذا طلب الحاجة قدّم شيئاً فتصدق به، وشم شيئاً من طيب وراح إلى المسجد»[2]، وقد ورد أيضاً: «الصدقة... تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء»[3].

١٠ ـ الدعاء بالمأثور:

لا شك أن الدعاء بالمأثور أوقع إلى القلب وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى لأنه خرج من أهله، وهم آل الله الذي نزل الوحي في بيوتهم، وإلى ذلك يشير الشاعر من الوافر:

بآل محمدٍ عُرِفَ الصَّوابُ وَفِي أَبْيَاتِهِمْ نَزَلَ الكِتابُ
وَهُمْ حُجَجُ الإلٰهِ عَلى الْبَرايا بِهِمْ وَبِجَدِّهِمْ لا يُسْترابُ[4]

= إلى الفقير، كما نجد أن بعضهم يستنكف من أخذها باعتبار أن الذي يصرفها يتحمل البلاء عن المتصدق، بل في الواقع أن الصدقة هي كل أمر ذي طابع خير، سواء كان تعليماً أو بناءً أو رفع أذى أو ما شابه ذلك ـ المعد.

(١) بحار الأنوار: ٧٢/ ٥٠ مروي عن الرسول صلى الله عليه وآله.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٧٨، شم الطيب، أو التطيب من مستحبات الذهاب إلى المساجد وكذلك الصلاة، والذهاب إلى المسجد لأجل الصلاة، فالمكان والزمان لهما دور في استجابة الدعاء كما سبق وأشرنا إلى ذلك.

(٣) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٧٩ عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) ناسخ التواريخ (حياة الرسول): ٤/ ٤٨ والبيتان لعمرو بن العاص أنشدها يوم الغدير في حجة الوداع مهنئاً بهما الإمام علياً عليه السلام.

Digitized by Google

ولقد رجّح العلماء الدعاء بالمأثور، ولدىٰ مراجعة المأثور نرىٰ أن له لوناً خاصاً يمتاز على غيره، وله نكهة تفوق سواه، تشعر وأنت في رحابه كأنّك في سفرة روحية تخلّت عن كل الأبعاد سوى البعد الإلٰهي والعبودية المطلقة، هذا وما أكثر الأدعية الواردة عن طرق أهل البيت عليهم السلام، وألطف ما فيها أنها متنوعة تعايشك في سائر أحوالك، فلا حاجة إذاً إلى خلق أدعية جديدة إذا كان المأثور يفي بالغرض، مضافاً إلى أنهم أحبة الله، والحبيب يعرف لغة حبيبه، وكلام العاشق لا يعادل بكلام غيره.

وهؤلاء هم الذين يملكون الكلم الطيب الذي قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[1]، واستخدام الأدعية المأثورة يختصر لنا الطريق للوصول إلى ساحته القدسية، لأنها من الكلم الطيب[2] الذي وعد الله بالصعود إليه ومِنْ ثُمَّ الاستجابة له، وقد روى عبد الرحيم القصير[3] أنه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، إني اخترعت دعاءً، فقال: «دعني من اختراعك»[4]، وفي حديث آخر طويل يقول إسماعيل

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) ومن الكلم الطيب عدم اللحن في الكلام فقد روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: «إن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عز وجل» ـ عدة الداعي: ٢٣ ـ وسيأتي الكلام عنه.

(٣) عبد الرحيم القصير: من بني أسد، كان من أصحاب الأئمة: الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، دعا له الإمام الصادق عليه السلام بالرحمة مكرراً، عدّه الصدوق من الرواة المعتمدين، له كتاب.

(٤) الكافي: ٤/٤٧٦، وفيه أنه عليه السلام علمه دعاءً.

Digitized by Google

ابن الفضل[1] فقلت: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي، فقال الصادق عليه السلام: «يا هذا، لا شك في أن الله يحيي ويميت، ويميت ويحيي، ولكن قُلْ كما أقول[2]»[3].

وهذا لا ينافي ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله زُرارة[4] أنه قال: قلت لأبي عبد الله عَلِّمني دعاءً، فقال عليه السلام: «إن أفضل الدعاء ما جرىٰ على لسانك»[5]، حيث هو الأصل[6].

---

(١) إسماعيل بن الفضل: هو حفيد يعقوب بن الفضل بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، من أصحاب الأئمة: الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، وكان قد سكن البصرة، من ثقاة الرواة.

(٢) وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة: ٥٠٣، الخطبة: ٢٣٣: «وإنّا لأُمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه».

(٣) الخصال: ٤٥٢.

(٤) زرارة: هو ابن أعين الشيباني (١٠٥ ـ ١٧٥ هـ) كان من حواري الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، ومن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وكان من عيون الرواة، قال في حقه الصادق عليه السلام: لولا زرارة لاندرست أحاديث أبي، وقد أرجع الصادق عليه السلام بعض مراجعيه للمناظرة في الفقه إليه.

(٥) الكافي: ١/٨٣، التوحيد: ١٣٤.

(٦) والجمع بين الأمرين هو الدعاء بمضامين ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وإن اختلفت تركيبتها بحيث يتوافق مع حاجة الداعي ـ المعد.

Digitized by Google

١١ ـ اتخاذ الوسيلة:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[١]، الوسيلة هو كلما يتوصل عبره المرء إلى المقصود، ولها مصاديق، منها: أصل الدعاء هي وسيلة من الوسائل التي نبتغيها، ومنها العبادة، ومنها القربة، إلا أنها لا تنحصر في شيء، بل تنحصر مشروعيتها فيما أجازه الله وأراده، كما في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٢]، ومن تلك الوسائل المأذونة الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فهم أحد المصاديق، وقد ذكر القمي[٣] في ذيل هذه الآية: تقرّبوا إليه بالإمام[٤]، وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك أنا وسيلته[٥]، وقال الرسول ﷺ: «الأوصياء منّي.. بهم تنصر أمتي، وبهم يمطرون، وبهم يدفع الله عنهم، وبهم استجاب دعاءهم»[٦]، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «مَن دعا الله بنا أفلح، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك»[٧]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أكثر ما يلحُّ به في الدعاء على الله بحق الخمسة يعني رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) القمي: هو علي بن إبراهيم بن هاشم، كان من أعلام القرن الثالث الهجري عاش حتىٰ عام ٣٠٧ هـ، من أعلام الإمامية ومفسريهم، له كتاب الناسخ والمنسوخ، اختيار القرآن، وكتاب الشرائع.
(٤) تفسير القمي: ١/ ١٦٨.
(٥) الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٣٣.
(٦) تفسير العياشي: ١/ ١٤.
(٧) أمالي الطوسي: ١٧٥.

Digitized by Google

والحسين عليه السلام»[1] إلى غيرها، وفي حديث جابر بن عبد الأنصاري عن الرسول صلى الله عليه وآله: «يا جابر إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك فادعه بأسمائهم فإنها أحب الأسماء إلى الله عز وجل»[2].

١٢ ـ التضرع والرقة:

إنّ رقة القلب تدل على حالة الخشية المطلوبة عند الدعاء وموجبة لاستجابته، ويرافق الرقة والخشية التضرع والبكاء، حيث هما الآخران مطلوبان لطلب الحاجة، ويوجب الرد السريع من قبل الله جل وعلا، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك، فقد قصد قصدك»[3]، وعن رقة القلب قال الصادق عليه السلام: «إذا رق أحدكم فليدع»[4]، وفي مقارنة الرقة بالإخلاص يضيف الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «فإن القلب لا يرق حتىٰ يخلص»، وعن الإخلاص يعبر الإمام علي عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص فإذا اشتد الفزع، فإلى الله المفزع»[5]، إذاً فالرقة تمهد الأجواء المناسبة للدعاء لتحقق الرحمة الإلهية، وإلى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وآله: «اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة»[6].

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٨٠.
(٢) بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٤٨، عن الاختصاص: ٢٢٢.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٨.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٧٧.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٦٨.
(٦) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٣.

Digitized by Google

هذا والبكاء وليد التضرع والرقة، فمتىٰ ما صاحب الدعاء البكاء دل على رقة القلب، وعلى حقيقة التضرع، فقد ورد في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره، فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء، ولو أنّ عبداً بكىٰ في أمة لرحم الله تعالىٰ ذكره تلك الأمة لبكاء ذلك العبد»[1]، وربما تحث الروايات المرءَ على محاولة البكاء بأيّ طريقة كانت، حيث سأل إسحاق بن عمار[2] الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: أَدعو فأَشتهي البكاء ولا يجيئني، وربما ذكرت بعض مَن مات مِن أهلي فأرقّ وأبكي، فهل يجوز ذلك؟، فقال الصادق عليه السلام: «نعم، فتذكّرهم، فإذا رققت فابكِ، وادع ربك تبارك وتعالىٰ»[3].

وربما حَثَّت الروايات المرءَ على تصنع البكاء لتتولد في قلبه حالة الرقة والتضرع وتوطيدهما، فقد ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير[4] هذا المعنىٰ إلى جانب بعض شرائط

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٣٦.

(٢) إسحاق بن عمار: هو حفيد موسىٰ بن مهران السّاباطي، رغم ما قيل إنه فطحي المذهب، إلا أنه كان ثقة يعتمد على رواياته، كان من أصحاب الأئمة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، وله كتاب.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٨٣.

(٤) أبو بصير: المراد به هنا لإطلاقه، يحيى بن (أبي القاسم) إسحاق الأسدي الكوفي المتوفىٰ عام ١٥٠ هـ، والذي كان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، من الثقاة ـ خلافاً لمن طعن فيه ـ وقد عدّه الكشي في رجاله في أصحاب الإجماع، وعلى أي حال فإنه كان مكفوفاً يقوده علي بن أبي حمزة سالم البطائني، وكلاهما ينسبان إلى =

Digitized by Google

استجابة الدعاء التي تحدثنا عنها، حيث يقول: «إن خفت أمراً يكون أو حاجة تريدها، فابدأ بالله ومَجّده واثنِ عليه كما هو أهله، وَصَلِّ على النبيﷺ وسَلْ حاجتك، وتباكَ ولو مثل رأس الذُباب، إن أبي كان يقول: إن أقرب ما يكون العبد من الرب عز وجل وهو ساجد باكٍ»[1].

١٣ ـ تعميم الدعاء:

بما أن الله لطيف بعباده يحب أن يسري اللطف بين عباده أيضاً، ويحثهم علىٰ أن يتعاملوا فيما بينهم باللطف والرحمة، ويمتلكوا روح التعاون، ويتخلصوا من الأنانية وحب الذات، ومن تلك الموارد مسألة الدعاء، فيحب الله أن لا ينسى العبد أمثاله عند الدعاء، وقد قرن بذلك أمر استجابته للدعاء حيث يقول الرسولﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعم، فإنّه أوجب للدعاء»[2]، ويقول الصادقعليه السلام: «إذا قال الرجل اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم وجميع الأموات، رد الله عليه بعدد ما مضى ومن بقي من كل إنسان دعوة»[3].

= الوقف، وفي النسبة نظر، وله من المؤلفات: كتاب يوم وليلة، وكتاب مناسك الحج.

(١) الكافي: ٢/ ٤٨٣.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٩١.

Digitized by Google

١٤ ـ رفع اليدين:

يظهر من الروايات أنّ من آداب الدعاء هو رفع اليدين نحو السماء، وهي مظهر من مظاهر حاجة العبد إلى مولاه وخالقه، فكما أن المتسكع على باب الأثرياء يمد يده ويطلب لقمة عيشه، أو الحصول على ما يسد رمقه ببعض النقود، أو يقضي حاجته بجزء من الأمتعة، فكذلك الذي يتوجه إلى القادر المطلق فلا بد أن يتمثل الحاجة والاستكانة ليحصل على طلباته، وقد روىٰ الإمام الحسين عليه السلام: «إن الرسول صلى الله عليه وآله كان يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين»[١]، وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله... استعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرع ببسط الأيدي ورفعهما إلى السماء»[٢] وكأنه إظهار للخجل عن الطلب من دون استحقاق حيث لم يقدم عملاً يذكر، وفي هذا الاتجاه جاء اعتراض الرسول صلى الله عليه وآله حين مر صلى الله عليه وآله على رجل وهو رافع بصره إلى السماء يدعو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله غض بصرك، وأراد صلى الله عليه وآله أن ينبهه إلى أمر آخر وهو أن التوجه إلى السماء ليس لأنه سبحانه مستقر بها ويمكن رؤيته فقال: «فإنك لن تراه»[٣]، ويقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه مخاطباً ربه: «فيضرع لك هذه، وترفع بالمسألة إليك يده»[٤].

وما دام الحديث عن استخدام اليدين في الدعاء فإن الإمام

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٣٩.
(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٣٤٦.
(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٠٧.
(٤) بحار الأنوار: ٩١/ ١٣٠.

Digitized by Google

الصادق عليه السلام بيّن بعض التفاصيل عن أشكال رفع اليدين والحالات التي تتطابق معها، قال: «الرغبة: تبسط يديك وتظهر باطنهما، والرهبة: تبسط يديك وتظهر ظهرهما، والتضرع: تحرك السبابة اليمنىٰ يميناً وشمالاً، والتَبَتُّل: تحرك السبابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها، والابتهال: تبسط يديك وذراعيك إلى السماء، والابتهال حين ترى أسباب البكاء»[1].

١٥ ـ التزين:

لدى مراجعة المستحبات التي أوردها الفقهاء في باب العبادات كالصلاة على سبيل المثال، يلاحظ أن هناك عدداً من الأمور التي تجمعها كلمة التزيين أو التجمل، ومن ذلك التطيب والسواك وقص الشعر وتسريحه وتنظيفه أو تدهينه والتختم ببعض الأحجار الكريمة[2]، ومحور كل هذه من حيث آثارها بالنسبة إلى المؤمن واضح، ولكن هناك جانب آخر وهو أن الذي يريد أن يلتقي بعظيم أو محب لا بد أن يراعي مجموعة من الآداب، منها التطيب والتزيين، وقد وردت بذلك روايات عامة بالنسبة إلى الصلاة والصوم وغيرهما، ويظهر من بعض الروايات أن لها تأثيراً

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٨٠.

(٢) الأحجار الكريمة: المقصود بها العقيق والفيروزج والياقوت والدر وأمثالها، رغم أن المحدثين من أرباب هذا التوجه يسمونها بشبه كريمة في قبال الألماس وأمثاله، ولا يخفى أن لهذه الأحجار فوائد علمية جمّة أوردها سماحة المؤلف في باب الحديث من موسوعته القيّمة ـ المعد.

Digitized by Google

في استجابة الدعاء أيضاً فقد روي عن الرسول ﷺ «أنه قال: قال الله عز وجل: إني لأستحي من عبد يرفع يده وفيها خاتم فيروزج فأردّها خائبة»[1]، وقال الصادق عليه السلام: «ما رفعت كفّ إلى الله عز وجل أحبّ إليه من كفّ فيها عقيق»[2].

١٦ ـ التجمع:

ومن الأمور التي تساعد المرء على استجابة الدعاء والتي تُعدُّ مِن الآداب والطقوس التي ترافق الدعاء اجتماع المؤمنين ومشاركة الداعي في الدعاء وطلب الحاجة، ويظهر من بعض الروايات أفضلية بلوغ العدد إلى أربعين شخصاً، فقد روي عن الرسول الأعظم ﷺ: «لا يجتمع أربعون رجلاً في أمر واحد إلا استجاب الله تعالى لهم، حتى لو دعوا على جبل لأزالوه»[3]، وعن الصادق عليه السلام: «ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزّ وجل في أمر إلا استجاب الله لهم، فإنْ لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عز وجل مرات إلا استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرة فيستجيب الله العزيز الجبار له»[4].

وعن الصادق عليه السلام أيضاً: «ما اجتمع أربعة قط على أمر واحد فدعوا إلا تفرقوا عن إجابة»[5]، وروي أيضاً أن الله أوصىٰ

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٢١.
(٢) عدة الداعي: ١٢٩.
(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٩٤، عن دعوات الراوندي.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٨٧.
(٥) ثواب الأعمال: ١٤٦، الكافي: ٢/ ٤٨٧، وسائل الشيعة: ٧/ ١٠٤.

Digitized by Google

إلى النبي عيسىٰ عليه السلام: «يا عيسى، تقرّب إلى المؤمنين، ومرهم أن يدعوني معك»[1].

ومن صور المشاركة في الدعاء عند التجمع أن يدعو أحدهم أو صاحب الحاجة ويشفعه المجتمعون بكلمة «آمين»[2] وقد ورد أن الإمام الصادق عليه السلام كان إذا حَزَّ به أمرٌ جمع النساء والصبيان ثم دعا فأمّنوا[3].

١٧ ـ الابتعاد عن اللحن:

إن محبوبية الكلام الذي يحاور به المرء مطلوب في نفسه، ولا بد أن لا يوجب الاشمئزاز، ولا شك أن الا بتعاد عن اللحن مما يزيد الحوار حلاوة وطراوة، ولو لم يكن له أثر إيجابي لما وجب في الصلاة تجنب اللحن، والصلاة هي معراج المؤمن حيث وقفة العبد بين يدي ربّه، فالدعاء الذي هو تالي تلو الصلاة يفضل فيه أن لا يكون ملحوناً أيضاً، وقد روي عن الإمام الجواد عليه السلام: «إن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عز وجل»[4]، ولكن الفقهاء جوزوا القراءة الملحونة في الصلاة لمن لا يقدر على التعليم والتصحيح، ولعل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله عن القرآن

---

(١) وسائل الشيعة: ٧/ ١٠٤.

(٢) ومن هنا يتبين شرعية ما اعتاد عليه المسلمون من الدعاء في تجمعاتهم ومجالسهم، فيدعو أحدهم ويؤمّن الآخرون عند كل مقطع من مقاطع دعائه ـ المعد.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٩٤.

(٤) عدة الداعي: ٢٣.

Digitized by Google

بالملحون هو في هذا الاتجاه قالﷺ: «إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرأ القرآن بعجمته[1]، فترفعه الملائكة على عربيته»[2] ويظهر من هذا الحديث أمران، الأول: مطلوبية الدعاء بغير الملحون[3]، والثاني لطف الله بعبده الذي لا يرفعه إلا صحيحاً، ومن هذا الباب جاء ما اشتهر عن الرسولﷺ في حق بلال الحبشي الذي لم يتمكن من أداء حرف الشين من مخارجه فقال: «سين بلال عند الله شين»[4].

ومسألة تجنب الملحون لا تعني أنه مطلب قائم بذاته بل إذا ضم إلى سائر الآداب والشرائط كانت النتائج مضمونة، ولذلك جاء في حديث الإمام الصادقعليه السلام: «تجد الرجل لا يخطىء بلام ولا واو، خطيباً مصقعاً، ولَقَلْبُهُ أشدُّ ظلمة من الليل المظلم»[5].

---

(١) العجمة والعربة: ربما أريد بهما اللحن وعدمه، لا ما يتبادر إلى الذهن من اللغة، حيث ورد في معنى العجمة: الكلام المبهم، وعدم الإفصاح في الكلام، وجاء معنى عرب الرجل إذا فصح بعد لكنة في لسانه، وعرّب لسانه أبانه وأفصحه، والمنطق هذّبه من اللحن ـ المعد.

(٢) الكافي: ٢/ ٦١٩.

(٣) وهناك من جمع بين الروايتين بأن الدعاء لا يصعد ملحوناً إلى الله كما في عدة الداعي: ٢٦.

(٤) سفينة البحار: ١/ ٣٩٠ عن عدة الداعي.

(٥) الكافي: ٢/ ٤٢٢.

Digitized by Google

شرائط استجابة الدعاء

هناك العديد من الشرائط[1] التي تختلف متعلقاتها فتارة تتعلق بالموضوع، وأُخرىٰ بالداعي، وثالثة بأمور أخرىٰ، ومجمل ذلك ينصب في أمور أهمها:

١ ـ أن يكون الطلب مشروعاً بكل ما في الكلمة من معنىٰ، فلا يعقل أن يستجيب الله لطلب المنكر وما هو غير مشروع كدعاء الإنسان على نفسه بالموت، ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَيَدْعُ

(١) جاء في أشعة من بلاغة الإمام الصادق عليه السلام: ٢٠٦ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يذكر فيها بعض الشرائط لاستجابة الدعاء نذكرها هناك إتماماً للفائدة:

قال عليه السلام: واحفظ أدب الدعاء، وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو، وحقق عظمة الله وكبرياءه،وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما تكون فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ وتفكر ماذا تسأل وكم تسأل ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعاً وتسليم الأمور كلها ظاهراً وباطناً إلى الله تعالى، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة، فإنه يعلم السر وأخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك.

Digitized by Google

ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾[1]، أو يدعو على غيره دون مبرر مشروع فلا بد أن يكون عمله صالحاً لمكان قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2]، وجاء في الحديث النبوي: «ما من مؤمن دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا استجلاب إثم، إلا أعطاه الله بها...» الحديث[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون ولا يحل[4].

٢ ـ **المبادرة بالعمل** الذي طلب إنجازه من الله سبحانه، بل عليه أن يسعى مقارناً بالدعاء للتوفيق[5]، ولذلك فلا يصح الإدبار عن العمل والانتظار للحصول على النتائج بمجرد الدعاء، وفي هذا المجال يقول السيد هبة الدين الشهرستاني: «إن كثيراً من قليلي العلم من ذوي العقول القاصرة من الذين حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء، تراهم إذا أقبلوا على الدعاء أدبروا عن العمل والاهتمام، وتركوا تدبير الأسباب الميسورة لهم، وزعموا أن الإقبال على الدعاء والتوكل على الله ينافيان السعي وراء تدبير الأسباب المقرّبة نحو المطلوب، لكنّ ذلك وهم ومضلّة وبدعة في

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٣) حقيقة الدعاء في الإسلام: ١٨ عن جامع الأخبار: ١٣٣، مكارم الأخلاق: ٢٦٩.

(٤) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٢٤ عن الخصال: ٢/ ١٦٩.

(٥) لسماحة المؤلف تعريف دقيق للتوفيق يبين فيها ما يطابق العلم وما هو ملموس، أوردها في مطاوي شرحه للدعاء من الصحيفة الحسينية الكاملة والتي هذه مقدمتها التمهيدية فليراجع ـ المعد.

Digitized by Google

الدين، ومخالفة لسنّة سيد المرسلين، فإنّه ﷺ كان بلا ريب أعظم المتوكلين على رب العالمين، وكانت له الدعوة المستجابة، وكان ﷺ مع ذلك كله أكثر الناس تدبيراً للأسباب الممكنة، وأشدهم توجهاً نحو القوى الظاهرة»[1] ويقول النبي ﷺ: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»[2]، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا يستجابُ لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة ـ فاجرة ـ فدعا عليها فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك...» الحديث[3]، وقال النبي ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر، مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر»[4]، وقال عمر بن يزيد[5] لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: رجل قال: لأقعدن في بيتي، ولأصلين ولأصومنّ، ولأعبدنّ ربي، فأمّا رزقي فسيأتيني، فقال عليه السلام: «هذا أحد الثلاثة

---

(١) أدعية القرآن لهبة الدين الشهرستاني الحائري: ١١.

(٢) بحار الأنوار ٩٠/ ٣١٢، وورد نقله عن الإمام علي عليه السلام ـ راجع نهج البلاغة: ٧٣٦، (الحكمة رقم: ٣٣٧).

(٣) الكافي: ٢/ ٥١١، وتتمة الحديث: «ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالإصلاح ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] ورجل كان له مال فأدانه رجلاً ولم يشهد عليه فجحده، فيقال له: ألم آمرك بالإشهاد».

(٤) أمالي الطوسي: ٥٤٥.

(٥) عمر بن يزيد: هو عمر بن محمد بن يزيد الكوفي بيّاع السابريّ، كان من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ثقة جليل، له كتاب مناسك الحج وفرائضه ومسنونه، أثنىٰ عليه الصادق عليه السلام.

Digitized by Google

الذين لا يستجاب لهم»[1].

٣ ـ الصلاة على محمد وآله، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يزال الدعاء محجوباً عن السماء حتىٰ يُصلىٰ على محمد وآل محمد»[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كل دعاء محجوب عن السماء حتىٰ يصلىٰ على محمد وآله»[3]، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «الدعاء محجوب حتىٰ يصلي على محمد وأهل بيته»[4].

فلا غرو أن يكون محمد وآله الباب العريض الذي يصل الإنسان عبره إلى ضالته، أَوَ لم يكن محمدٌ وآله هم الذين عرّفونا بالخالق، أو ليس لهم الفضل في إيماننا، أو ليس من الشكر أن يصلىٰ عليهم قبل الدعاء لأنفسنا، فهم حجّاب الله وبابه الذي منه يؤتىٰ[5].

---

(١) السرائر: ٣/ ٦٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٢، عن أمالي الطوسي: ٢/ ٢٧٥، والبحار: ٩٠/ ٣١٣.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١١، وقال عليه السلام أيضاً: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي وآله ثم سل حاجتك فإن الله أكرم مِنْ أن يسأل حاجتين يقضي أحدهما ويمنع الأخرىٰ» بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٣.

(٤) الصواعق المحرقة: ٨٨، ورد عن الهندي في كنز العمال: ١/ ١٧٣ «ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتىٰ يصلى على النبي صلى الله عليه وآله فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب ودخل الدعاء فإذا لم يفعل ذلك يرجع الدعاء»، ولفظ ابن حجر «الدعاء محجوب حتىٰ يصلى على محمد وأهل بيته اللهم صل على محمد وآله» «راجع فضائل الخمسة: ١/ ٢٤٩».

(٥) يجب على الداعي أن ينتبه بأن لا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله صلاة بتراء كما =

Digitized by Google

٤ ـ الخلوص في الدعاء: وهو من البديهيات التي لا يمكن أن يتصور الإنسان أن أحداً يطلب من الله حاجته وهو لا يلخص له، بحيث يتوجه إليه وحده بكل حواسه الظاهرة والباطنة، ويريد أن يستجيب الله له وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾(١)، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ﴾(٢)، وقال أيضاً: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٣).

٥ ـ الإلحاح والإصرار: إن المحتاج لا بد أن يصرّ على طلباته حتىٰ ينال الإجابة عليها، وبالإصرار والإلحاح لا يخيب الداعي بل يحظى بالوصول إلى ما دعا لأجله، وفي ذلك يقول الدكتور الفرنسي كارل: إن الدعاء عند الحاجة بإلحاح وإصرار لا يمكن أن يخيب(٤).

= هو ديدن شريحة كبيرة من المسلمين حيث نهى الرسول ﷺ عن ذلك حين قال: «لا تصلوا عليّ صلاة مبتورة إذا صليتم عليّ بل صلّوا على أهل بيتي ولا تقطعوهم منّي، فإن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» [بحار الأنوار: ٥/ ٢٩]. وسئل الرسول ﷺ عن كيفية الصلاة فقال ﷺ قولوا: «اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد» ـ سنن النسائي: ٣/ ٤٥ ـ المعد.

(١) سورة القصص، الآية: ٢٨ وفي سورة الشعراء، الآية: ٢١٣ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٣) وردت هذه الجملة في سورتين أحدهما سورة الأعراف، الآية: ٢٩، والأخرىٰ في سورة غافر الآية: ٦٥، وفيها أيضاً الآية: ١٤ ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

(٤) الدعاء: ٣٨ ويقول في مكان آخر من كتابه: ٦٦ «إن نتيجة الشفاء =

Digitized by Google

وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2]، وفي رواية أمير المؤمنين عليه السلام: «متى تُكثر قرع الباب يفتح لك»[3].

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ الله كَرِهَ إلحاح الناس بعضهم لبعض في المسألة، وأحبَّ لنفسه، إن الله يحب أن يسأل ويطلب ما عنده»[4].

وقال أيضاً: «لا يلح عبد مؤمن على الله تعالى في حاجة إلا قضى له»[5].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «رحم الله عبداً طلب من الله حاجته وألحّ في الدعاء استجيب له أم لم يستجب»[6]، وقال الله سبحانه لنبيه موسىٰ: «يا موسىٰ من أحبني لم ينسني، ومَن رجا معروفي ألحّ في مسألتي، يا موسىٰ إني لست بغافل عن خلقي، ولكني أحبّ أن تسمع ملائكتي ضجيج الدعاء من عبادي»[7].

= بالدعاء وسرعة الاستجابة إنما يتوقفان على كثافة الدعاء ومدى الصدق والإخلاص فيه».

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠ وفي سورة الأحزاب، الآية: ٤١: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٣) عدة الداعي: ١٦.

(٤) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٧٠ عن مكارم الأخلاق: ٣١٤.

(٥) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٧٠ عن مكارم الأخلاق: ٣١٣.

(٦) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٧٠ عن مكارم الأخلاق: ٣١٥.

(٧) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٠ عن عدة الداعي: ١٤٣، وفي كلمة الله: ٣٠٦ =

Digitized by Google

ولو اعتبرنا الدعاء كجرعة دواء يتناوله المريض فلا بد من القبول بأن الإستشفاء عادة لا يتم بتناول جرعة الدواء لمرة واحدة، بل لا بد من تكرارها والمداومة عليها ليحصل على الشفاء الكامل، وكلما كان المرض متأصلاً وكبيراً كان التداوم على تناول الدواء مرغوباً، فالإصرار على الدعاء وتكراره أمر طبيعي لا بد من ممارسته، ولربما كان كوصفة الطبيب الذي يأمر بتناول الدواء في اليوم ثلاث مرات، فكذلك الدعاء فلربما عليه أن يدعو الله بعد كل فريضة.

٦ ـ **التهيؤ النفسي**: من الجدير بالذكر أن تهيئة النفس لكل أمر شرط في إنجازه بصورة دقيقة وصحيحة، وبدونه لا ضمانة للنتائج المتوخاة، فلكل شيء أجواؤه، وللدعاء بالذات أجواؤه الخاصة التي لمسناها من جرّاء البحث عن الدعاء، ومن تلك الأجواء أن يبتعد الإنسان عن ما يكره ربه فلا يكون متلبساً بمعصيته، حيث لا يعقل أن يطرق الإنسانُ بابَ أحدٍ لحاجة ما، وهو قد أغضبه.

فلا بد إذاً قبل التوجّه إلى رحاب الله التوبة من الذنوب وتطهير النفس، وفي ذلك يقول المجلسي: ومن صفات الداعي

= عن عدة الداعي لابن الفهد الحلي: قال: النبيﷺ إن العبد ليقول: اللهم اغفر لي، وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفر لي، وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفر لي، فيقول الله سبحانه للملائكة: «ألا ترون إلى عبدي، سألني المغفرة وأنا معرض عنه، ثم سألني المغفرة، وأنا معرض عنه، ثم سألني المغفرة، علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا أُشهدكم: أني قد غفرت له».

Digitized by Google

أن لا يكون قلبه غافلاً ولا لاهياً وأن يكون طاهراً من مظالم العباد، وأن لا يكون عاذراً لظالم على ظلمه، وأن لا يكون جباراً، وأن يكون عند الدعاء تقياً آيباً صالحاً صادقاً[1].

ومنها أن يعيش الإنسان حالة من الرقة والانكسار لقول النبي ﷺ: «اغتنموا الدعاء عند الرقة، فإنّها رحمة»[2].

وقال الصادق عليه السلام: «إذا رقّ أحدكم فليدع فإن القلب لا يرق حتىٰ يخلص»[3].

وقال أيضاً: «إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك فدونك دونك فقد قصد قصدك»[4]، وقال الله سبحانه لعيسىٰ: «يا عيسىٰ صبَّ لي من عينيك الدموع، فاخشع لي قلبك»[5] وقد سبق الحديث عن هذا.

ومن التهيؤ النفسي الثقة بالاستجابة إلى درجة يظن أن حاجته بالباب وقد قال الصادق عليه السلام: «إذا دعوت فظن أن حاجتك بالباب»[6].

وهذا نوع من أنواع الإيحاء الذي يعتمد عليه علماء التنويم

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٥٢.
(٢) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٧ عن أمالي الطوسي: ٢/ ٣١٠.
(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٤٥ عن مكارم الأخلاق: ٣١٥.
(٤) بحار الأنوار: ٩/ ٣٤٥ وفيه: ٩٠/ ٣٤٤، عن الخصال: ١/ ٤١، الكافي: ٢/ ٤٧٨.
(٥) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٠٥.
(٦) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣١٢ عن الدعوات للراوندي.

Digitized by Google

المغناطيسي في شفاء المريض[1]، بل إنه الركيزة الأُولىٰ في عملية التنويم[2]، وقد قال الرسول ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[3].

فإذا تهيأت النفس فيأتي دور التوجه إلى الله.

٧ ـ التوجّه إلى الله: إنّ البند الأهم والركن الأساسي في الدعاء هو التوجه الكامل إلى الله بكل الجوارح[4] والفناء في ذاته وإذا كانت لدى الإنسان حاجة فعليه أن تتداعىٰ جميع أعضائه إلى الطلب والإلحاح فيقف بين يدي ربّه ذليلاً خاضعاً خاشعاً مبتهلاً موقناً بالاستجابة منقطعاً إليه عن غيره، فإن ذاق لذة الدعاء وحلاوة الانقطاع إلى الله لا يفضل عليها شيءٌ أبداً، وتلك الساعات التي يتلبس العبد بالتضرع إلى باريه لساعاتُ سموه وعزته حيث لا يشعر بشيء سوى خالقه، فيتعالى المناجي ربه عن نفسه ويرتقي سلالم علم اليقين ليصل إلى عينها ثم لا يتوقف عندها بل يرتقيها ليصل إلى درجة حق اليقين فعندها ترفع عنه الحجب ويرىٰ ما لا يراه غيره، وهذا هو المقام الذي يحب الله أن يسمع صوت عبده ومناجاته وتضرعه إليه وعندها تكون الاستجابة مؤكدة.

---

(١) لسماحة المؤلف بحث حول الإيحاء والتنويم المغناطيسي أورده في مقدمة باب الرؤيا مشاهدات وتأويل فليراجع ـ المعد.

(٢) راجع التنويم المغناطيسي: ٧٤.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٠٥ و ٣٢١.

(٤) يقول الدكتور كارل في كتابه الدعاء: ٣٥: «فإن الإقبال على الدعاء ينبغي أن يكون بكل كيان الإنسان وجوارحه كما تكون المحبة..».

Digitized by Google

هكذا كان ابن أبي طالب يناجي ربه ويعرج إليه بكلّه فقد روي أنه بلغ في العبادة أنه كان يؤخذ النشاب من جسده عند الصلاة لانقطاع نظره عن غير الله بالكلية[١].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساهٍ فإذا دعوت فاقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة»[٢].

ويقول الدكتور كارل: إن بعض فترات من التفكير أو التضرع الذهني، يمكن أن تجعل الإنسان دائم التفكر بالله مشدوداً إلى عالم المحبة والعطاء والتسامح[٣].

وهذا ما دعا إليه الفيلسوف ابيكتيت[٤] الذي يقول: «فكّر بالله أكثر مما تتنفس»[٥].

٨ ـ **التقوىٰ**: إنّ من أهم عوامل قبول الدعاء هو أن يكون الداعي متقياً ورعاً لا يعصي الله، يأتمر بأمره سبحانه وتعالىٰ ومطيعاً له، ومن الطبيعي أن الله سبحانه يسمع دعاؤه ويستجيب له ويتقبل عمله، وقد قال جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٦].

---

(١) الإمام علي وفضائله إعداد دار الحياة بيروت: ٣١ عن نهج الحق.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٧٣.

(٣) الدعاء: ٤٥.

(٤) ابيكتيت (Epictéte): فيلسوف رواقي عاش في القرن الأول الميلادي، ولد في مدينة هيرابوليس أعماله وتقريراته تقوم على حصر الرواقية في الفرق بين ما يتعلق بالفرد وما لا يتعلق به.

(٥) الدعاء لكارل: ٤٥.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

Digitized by Google

ويُذكر في هذا المجال أن الجفاف ضرب بلاد إيران بعد أن أمسكت السماء عن نزول الأمطار واستمر الأمر سنة كاملة فقلقت السلطات لذلك، واضطرب حال الناس فاتجهت الأنظار إلى مدينة إصفهان عاصمة إيران آنذاك حيث تواجد بها حينذاك جدنا الأعلى الشيخ محمد إبراهيم الكرباسي[١] حيث كان المثل الأعلى في التقوى والورع كثير الاحتياط والزهد، فطلبت منه السلطات كما والجماهير أن يخرج لإقامة صلاة الاستسقاء إلا أنه اعتذر لسوء حاله واشتداد مرضه، فقال له مندوب السلطان القاجاري منوجهرخان معتمد الدولة[٢] سنهييء لكم سريراً ليحملوكم عليه، إلا أنه رفض ذلك قائلاً: أوصل بي الحال في آخر عمري أن أخرج لأدعو ربي وأحمل على سرير من أموال مغتصبة[٣]، فتدخل نجله الشيخ محمد مهدي[٤] فقال لدينا أخشاب من أموالكم

(١) محمد إبراهيم الكرباسي: هو ابن محمد حسن الأشتري حيث ينتهي نسبه إلى مالك الأشتر النخعي (١١٨٠ ـ ١٢٦١ هـ) من أعلام الإمامية وفطاحل العلم درس في كربلاء والنجف واستقر باصفهان بسبب الأوضاع الأمنية في العراق، له عدد من المؤلفات: الإشارات في الأصول، الإرشاد في الفقه، وشوارع الهداية، له مرقد معروف باصفهان يزار.

(٢) معتمد الدولة منوجهرخان: كان أحد وزراء السلطان محمد الثاني ابن عباس ميرزا القاجاري (١٢٥٠ ـ ١٢٦٤ هـ) في إصفهان عاصمة الدولة، وهو غير منوجهرخان الذي كان والياً على ايل حيث توفي ذلك عام ١٠٧٩ هـ.

(٣) حيث كان يرى أن قسماً من أموال السلطان مأخوذة من الشعب قهراً. .

(٤) محمد مهدي: هو ابن محمد إبراهيم الكرباسي (١٢١١ ـ ١٢٧٨ هـ) كان من أعلام الإمامية وفقهائها تولى المرجعية والتدريس والإمامة بعد=

Digitized by Google

الخاصة لو أذنتم لصنعنا منها سريراً لهذا الغرض فوافق على ذلك، فلما صنع السرير أعلن للناس بأن سماحته يطلب منكم أن تصوموا يوم السبت والأحد والاثنين، ويوم الاثنين موعدكم للخروج معه لإقامة صلاة الاستسقاء، فلما كان يوم الاثنين خرج الناس عن بكرة أبيهم وهم صائمون، وحمل الشيخ على السرير والجماهير تجري خلفه واصطف اليهود على جانب الطريق والأرمن على الجانب الآخر، فلما نظر الشيخ إلى أبناء الديانات الأخرىٰ رفع عمامته من على رأسه ورفع رأسه إلى السماء، وأخذ يتمتم ببعض الكلمات، وكان مما قاله «إلٰهي قد ابيضت شيبة إبراهيم في الإسلام فلا تخجلنا هذا اليوم أمام اليهود والنصارى» واغرورقت عيناه بالدموع، ولم تسقط قطرة من دموعه الطاهرة إلا وهطلت الأمطار بشكل لا نظير له، ولم تعد هناك حاجة إلى إقامة صلاة الاستسقاء ورجع الشيخ إلى داره[1].

هذا وقد روي أن جميلاً[2] سأل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: جعلت فداك إن الله يقول ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3] وإنّا ندعو فلا

= أبيه، ومن مؤلفاته: كتاب الاجتهاد والتقليد، والحاشية على شرح التصريف للتفتازاني، ورسالة عملية.

(١) راجع آل الكرباسي: ٤٥، وقصص وعبر: ١٧٧، وجامع النورين للشيخ إسماعيل السبزواري.

(٢) جميل: هو ابن دراج بن عبد الله النخعي، كان من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ومن أصحاب الإجماع، مات في أيام الإمام الرضا عليه السلام، أي بعيد عام ١٨٣ هـ، له مؤلفات صنفها لوحده وأخرىٰ صنفها بالاشتراك مع غيره.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

Digitized by Google

يستجاب لنا قال عليه السلام: «لأنكم لا توفون بعهد الله، لو وفيتم لوفىٰ الله لكم»[1]، وهذا الأمر طبيعي، وقد قال الله تبارك في محكم كلامه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[2]، وقد ورد في الحديث القدسي إن الله أوحىٰ إلى النبي صلى الله عليه وآله: «يا داود إنه ليس عبدٌ من عبادي يطيعني فيما آمره إلا أعطيته قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني»[3].

وهناك عوامل أخرى توجب استجابة الدعاء أعرضنا عنها لا لعدم أهميتها بل لالتزامنا بالإيجاز[4].

وفي نهاية المطاف نذكر بعض الدعوات المستجابة بشرطها وشروطها: دعوة الوالد الصالح لولده، ودعوة المظلوم على الظالم، ودعوة المسافر، ودعوة الغازي، ودعوة المريض، ودعوة الحاج، ودعوة الولد الصالح لوالديه، ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب، ودعوة من كان كسبه حلالاً[5].

---

(١) تفسير القمي: ١/٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٣) بحار الأنوار: ٩٠/٣٧٦.

(٤) ومن تلك الدعاء للغير، وقد أشرنا إلى ذلك، ولكن له موارد أخرىٰ فقد وردت بذلك أحاديث كثيرة يراجع بشأنها باب الدعاء في بحار الأنوار وعدة الداعي وغيرهما، ويقول الدكتور كارل في هذا المجال: في كتابه الدعاء: ٦٦، «إن الدعاء للآخرين يكون دائماً أكثر نتيجة من دعاء الشخص لنفسه» وفي الحديث: «ادع الله بلسان لم تعصه» فقد فسر بالدعاء بحق الغير.

(٥) لقد ورد بهذا عدد من الروايات المروية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، راجع مكارم الأخلاق: ٢٧٥.

Digitized by Google

Digitized by Google

عوامل عدم استجابة الدعاء

إن لعدم استجابة الله لكل طلبات الداعين إليه أسباباً مختلفة تماماً بعضها مع البعض الآخر، وكثيراً ما يتساءل البعض عن وعده سبحانه بالاستجابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، ولعل فيما نقدمه بيان وجيز لبعض تلك العوامل:

١ ـ عدم الوفاء بالعهد:

لا شك أن الله سبحانه وتعالى وعد عباده بالاستجابة إذا دعوه، ولكنه سبحانه كما وعد بذلك عهد إلى عباده بأمور منها: ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2]، وإلى غيرها من العهود والمواثيق التي أخذها على عباده، وبطبيعة الحال فإذا لم يفِ العبد بالعهد فلا يفي الرب بالوعد، وقد صرح بذلك. حيث قال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٠. =

Digitized by Google

٢ ـ مخالفة القوانين الكونية:

إن الله تعالى قوانين وأنظمة عامة وضعها للكون[١]، وليس من المعقول أن يخالف الله ما وضعه، حيث إنه وضعها بحكمة[٢]، ولا يمكن أن تناقض المصالح بعضها بعضاً فإذا دعاه العبد وطلب منه ما ينافي تلك المصلحة العامة التي تُكوّن مصلحته الخاصة جزءاً من تلك، فلا يعقل أن يستجيب له ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[٣].

= ويقول سبحانه في الآية: ١٥٢ من سورة البقرة: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾.

(١) فلا يخالف في دعائه هذا سنن التكوين والتشريع التي وضعها الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) ومما يناسب المقام حديث تكررت روايته من قبل المعصومين عليهم السلام حيث تكرر طرح السؤال عليهم، وقد طرح على النبي عيسى عليه السلام وعلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أخذت المسألة بعين الاعتبار جانبين نذكرهما في ذكر إجابتين من قبل معصومين عليهم السلام. قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون، وسئل الرضا عليه السلام: هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة واحدة؟ قال: نعم وفي أصغر من البيضة، وقد جعلها في عينك، وهي أقل من البيضة، لأنك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو شاء ربك لأعماك عنها [بحار الأنوار: ٤/١٤٣]. والروايتان كما هو واضح لا تضارب بينهما، وقد استخدم في كل واحدة منهما قاعدة فيزيائية تختلف عن الأخرى، فجاءت الإجابة في كليهما صادقة وعلمية ـ المعد.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

Digitized by Google

وروى الإمام الكاظم عليه السلام: أن زيد بن صوحان[1] قال لأمير المؤمنين عليه السلام أي دعوة أضل؟ قال عليه السلام: «الداعي بما لا يكون»[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يحل ولا يكون»[3]، وقال أيضاً: «من سأل فوق قدره استحق الحرمان»[4].

فلو فرضنا أنّ أحداً كان مشتغلاً ببناء بيته فمن زاويته الخاصة يطلب من الله بخالص دعواته أن يحبس المطر عن عباده، فإن طلبه هذا يتنافىٰ والمصلحة العامة التي هي إرواء المزارع والبساتين ممّا يؤول بالخير على الناس كافة، والذي منهم الداعي لحبس المطر.

ولربما دعا الداعي لأمر ليس فيه صلاح نفسه، فإن علاّم الغيوب يتوقف عن استجابة دعائه حيث لا يريد ضرّه، ومن لطفه مراعاة حاله، وكثيراً ما عايشنا حالة كنا نتمنىٰ فيها استجابة الدعاء، ولكن بعد مضي فترة زمنية نشكر الباري على عدم استجابته دعاءنا، ولذلك جاء في دعاء الافتتاح: «ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور»[5]، ويقول الله تبارك

---

(١) زيد بن صوحان: هو حفيد حجر العبدي (نحو ١٥ ق.هـ ـ ٣٦ هـ) ولد في جزيرة أوال (البحرين) واستشهد في معركة الجمل، حيث كان من المخلصين لعلي عليه السلام، وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد عبد قيس من البحرين، وشهد معركة نهاوند وقطعت يده بها.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٢٧٤، الأمالي للصدوق: ٣٢٢.

(٣) الخصال: ٦٣٥. «حديث الأربعمائة».

(٤) عدة الداعي: ١٥٢.

(٥) أعمال شهر رمضان المبارك: ١٤. =

Digitized by Google

وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

ولعل الأفضل الدعاء عبر المأثور أو طلب ما هو خير له[2].

هذا ولربما يقال: إنّ الله قادر على أن يجمع بين استجابة الدعاء ومراعاة جانب المصلحة العامة والخاصة، ولكن ليس الكلام في الشك عن قدرته، بل لا بد وأن نذعن إلى القول المأثور: «أبىٰ الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها»[3] فإنه سبحانه لا ينقض قانونه، بل يستخدم قانوناً آخر من قوانينه كما هو الحال في المعجزة[4].

= ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: لا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم «التفسير المبين: ٣٦٥».

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦

(٢) دأب سماحة المؤلف في دعائه للآخرين عندما يطلب منه ذلك، أن يدعو إلى ما فيه خيرهم، وذلك لسببين، أهمها عدم معرفة ما هو الخير، وثانيهما عدم معرفته بتلك الحاجة ـ المعد.

(٣) فقد جاء في مجمع البحرين: ٢/ ٧٩ «أبىٰ الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب».

(٤) سئل الإمام علي عليه السلام: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال له: ويلك إن الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة؟ وسأل رجل الإمام الرضا عليه السلام: هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة؟ قال: نعم وفي أصغر من البيضة، وقد جعلها في عينك وهي أقل من البيضة، لأنك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو شاء لأعماك عنها ـ بحار الأنوار: ٤/ ١٤٣ عن التوحيد للصدوق.

Digitized by Google

٣ ـ نقض شروط الدعاء:

إنّ نقض بعض الشروط التي ذكرناها لاستجابة الدعاء يوجب عدم الاستجابة وهذا أمر طبيعي فالتخلي عن الشرط أو الإخلال به يوجب عدم تحقق المشروط، فمن باب المثال إنّ من شرائط استجابة الدعاء أو من مقدماته رقة القلب والخضوع وقد أسلفنا الحديث عن ذلك، فإذا قسىٰ قلب الداعي فلا ينتظر الإجابة من الله، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلبٍ قاسٍ»[١]، أما عن عدم الإخلاص فيقول الرسول صلى الله عليه وآله: «لا يقبل الله دعاء قلب ساه»[٢]، ويؤكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لا يقبل الله عز وجل دعاء قلب لاه»[٣].

٤ ـ عدم توفر الأرضية المناسبة:

نرىٰ إن في كثير من الأحيان أن الاستجابة تتأخر لعدم توفر الأرضية المناسبة، أو لوجود ظروف غير مُواتية مما يجعل الإنسان العجول[٤] يشعر برفض طلبه، ولا يعلم أن طلبه ليس بمرفوض بل مُؤجل، وفي دعاء الافتتاح نقرأ «ولعل الذي أبطأ عني خير لي لعلمه بعاقبة الأمور»[٥]، وَقَدْ ورد في وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لنجله الإمام الحسن عليه السلام: «وربما أُخِّرتْ عنك

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٧٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٢٦٥.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٤.

(٤) قاله الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء، الآية: ٣٧ ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وفي سورة الإسراء الآية: ١١ يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

(٥) أعمال شهر رمضان المبارك: ١٤.

Digitized by Google

الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته»[1]، وفي حديث الصادق عليه السلام «إما أن يُعطيه الذي يسأله بعينه، وإمّا أن يَدَّخر له ما هو خير له منه»[2]، والإبطاء عن استجابة الدعاء قد يطول فقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام: يستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخر؟ قال: نعم عشرين سنة[3]، وروي عنه أنه قال: «كان بين قول الله عز وجل ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[4] وبين أخذ فرعون أربعين عاماً»[5]، وأخيراً فقد قال الله جل وعلا: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6].

٥ ـ الخطأ في الاتجاه:

للدعاء باب فمن طرق غير بابه يراه موصداً أمامه، ولذلك وضع الأخصائيون بالدعاء شروطاً وطرقاً للدعاء، وعلى الداعي أن يتوجه إلى الله عبر تلك الطرق[7]، وفي الحديث «إن موسىٰ بن

(١) نهج البلاغة: ٥٦٣ (الكتاب: ٣١).
(٢) الكافي: ٣/ ٤٦٨.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٨٩.
(٤) سورة يونس، الآية: ٨٩.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٨٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.
(٧) وما هذا الكتاب إلا لبيان تلك الطرق، وكشف ما هو موصد عما هو شارع حتى تتم الاستجابة ـ المعد.

Digitized by Google

عمران عليه السلام مرّ برجل رافع يده إلى السماء يدعو ويتضرع ويسأل حاجته فغاب عنه سبعة أيام، ثم رجع إليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته، فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعاني حتىٰ يسقط لسانه ما استجَبْتُ له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به[1].

٦ ـ التناقض بين الأدعية:

ربما يناقض دعاءه بدعاء شخص آخر أكثر منه فضلاً، أو أبر منه وفاءً، أو أوفق صلاحاً بالإنجاز.

فلو دعا لطلب شيء ودعا آخر بعدمه وحدودهما كان واحداً، وللمثال فلو دعا هو بالتوفيق لعمل لنفسه ودعا والده أو والدته بعدم توفيقه لهذا العمل لصلاح أمره فإن دعاءه لا يستجاب.

٧ ـ اقتراف الذنوب:

وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «والذنوب التي ترد الدعاء: أ ـ سوء النية، ب ـ وخبث السرير، ج ـ والنفاق مع الإخوان، د ـ وترك التصديق بالإجابة، هـ ـ وتأخير الصلوات المفروضة حتى تذهب أوقاتها»[2].

وربما قال قائل إنّ قسماً من الأدعية هي لطلب ترك الذنب،

---

(١) بحار الأنوار: ١٣/ ٣٥٥ ح ٥٤ عن الكافي: ٣/ ٤١٨.

(٢) عدة الداعي: ١٥٤.

Digitized by Google

فإذا كان الذنب مانعاً فكيف الحل لاستجابة الدعاء فالعبد يدعو ربه ليوفقه لاجتناب الذنوب.

والجواب قد يكون بأنّ الذي يريد ذلك، عليه أن ينوي بجد ترك الذنب ويتوب إلى ربّه ثم يطلب من الله أن يوفقه في استمرارية تجنب الذنوب، وإلا فلا معنىٰ لأن يقدم المذنب على الدعاء وهو لا زال يقترف الذنب ويتعاطاه ولم ينو تركه وتجنبه.

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام: «إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى للملك لا تقض حاجته واحرمه إياها فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان منّي»[1].

والذنوب على أقسام: منها ما هو حق الله، ومنها ما هو حق الناس، ومنها ما هو ظلم للنفس، ومنها ما هو عقوق الوالدين حيث قال الإمام السجاد عليه السلام: «والذنوب التي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين»[2]، ومنها أكل الحرام حيث ورد في الحديث القدسي: «فلا تحجب دعوة إلا دعوة آكل الحرام»[3]، وطلب رجل من الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً: يا رسول الله أحبُّ أن يستجاب دعائي فقال صلى الله عليه وآله: «طهر مأكلك ولا تُدخل بطنكَ الحرام»[4]، ومنها قطيعة الرحم حيث ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

(١) الكافي: ٢/٤٤٨.
(٢) معاني الأخبار: ٢٧٠.
(٣) بحار الأنوار: ٩٠/٣٧٣.
(٤) عدة الداعي: ١٣٩.

Digitized by Google

«لا تملّ من الدعاء فإنّه من الله عز وجل بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم»[1].

٨ ـ استعجال الإجابة:

للعجلة جوانب متعددة نتطرق لجانبين منها فقط.

الأول: عدم التَّأني في طلب الدعاء، وعندها يأتي الدعاء أبتر ناقصاً لا يؤدي حقه، وهذا يعد من الآداب، وعن هذا يحدثنا الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: إن رجلاً دخل المسجد فصلىٰ ركعتين، ثم سأل الله عز وجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عجل العبد ربّه، وجاء آخر فصلى ركعتين ثم أثنىٰ على الله عز وجل وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سَلْ تُعْطَ[2].

الثاني: إن الداعي لا يتحمل التأخير بحيث يعيش حالة من التردد والشك في استجابة دعائه، وهذا مرفوض أيضاً وهو خلاف التيقن بالاستجابة المطلوبة في الدعاء الذي أشرنا إليه فيما سبق، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: أن العبد إذا دعا لم يزل الله تبارك وتعالىٰ في حاجته ما لم يستعجل[3].

وقد يصل به الأمر إلى القنوط المنهي عنه فقد روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يزال المؤمن بخير ورجاء رحمة من الله عز وجل ما لم يَستعجل فيقنط ويترك الدعاء».

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٤٨، قرب الإسناد: ١٧١.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٨٥.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٤.

Digitized by Google

فسأله أبو بصير: كيف يستعجل؟

قال عليه السلام: «يقول قد دعوت منذ كذا وكذا وما أرى الإجابة»[1].

وقال علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «فلا يقنطك إبطاء إجابته»[2].

٩ ـ سبق الأُمور:

لا بد للمؤمن أن يستبق الأمور ويكون كيساً فطناً، فينيب إلى ربه في حالة الرخاء حتىٰ إذا ما عرضتْ عَلَيْه شدّةً كان ذلك له رصيداً ادّخره لنفسه عند ربّه، يُسهل عليه طلب الحاجة في الشِّدة ويضمر استجابة الدعاء، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: من سرّه أنْ يُستجاب له في الشدة فليكثر الدعاء في الرخاء[3]، وقد نهىٰ الأئمة المعصومين عليهم السلام عن الدعاء عند الشدة فقط، حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له: «ولا تجعلني ممن يبطره الرخاء ويصرعه البلاء، فلا يدعوك إلا عند حلول نازلة، ولا يذكركَ إلا عند وقوع جائحة[4]»[5].

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٩٠.

(٢) نهج البلاغة: ٥٦٣ (الكتاب: ٣١).

(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٢.

(٤) بحار الأنوار: ٩١/ ١٣٠.

(٥) الجائحة: البلية والتهلكة والداهية العظيمة، والسنة الجائحة هي السنة المجدبة، وتجمع علىٰ جائحات وجوائح.

Digitized by Google

١٠ ـ التقاعس:

هناك أُناس لا يعتمدون على قدراتهم، ويتقاعسون عما يستطيعون عمله، اعتماداً على الدعاء دون أن يخطو خطوة واحدة، ويريدون أن يصلوا إلى مآربهم دون تحريك ساكن، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أربعة لا يستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني فيقال له: ألم آمرك في الطلب؟ ورجل كانت له امرأة فاجرة فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟ ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللهم أرزقني فيقال له: ألم آمرك بالإصلاح[١] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٢]، ورجل كان له مال فأدانه رجلاً ولم يشهد عليه فجحده، فيقال له ألم آمرك بالاشهاد[٣]؟ حيث قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ... وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ...﴾[٤].

١١ ـ عدم مصلحة الداعي:

قد لا يستجاب الدعاء لأنه ليس الطلب بوحده في مصلحة الإنسان، فعلى سبيل المثال: فلو طلب أحدنا منه جل وعلا الذكاء فإنه سوف يعاني الكثير، ولا بد أن يطلب إلى جانبه الصبر

---

(١) أراد بالإصلاح: الاقتصاد.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.
(٣) عدة الداعي: ١٣٧، وقد سبق ونقلنا جزءاً من الحديث.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

Digitized by Google

والتحمل[1]، وفي الغالب لا يعرف الداعي ما يطلبه وبماذا يقيده، فلذلك عليه أن يرجع إلى أهل الذكر، وإلى الذين أوتوا الكتاب والحكمة فيأخذ منهم معالم دينه وكيفية التعامل مع الدعاء، ومن هنا جاء افضلية الدعاء بالماثور، كما ورد في حديث سابق أن المعصوم عليه السلام صحح دعاء السائل قائلاً: قل: «اللهم لا تحوجني إلى لئام خلقك»، بدل «اللهم لا تحوجني إلى خلقك».

(١) إن علماء الطب وكذلك الصيدلة قد يصفوا للمريض أكثر من دواء، لأنهم يريدوا بذلك أن يخففوا من المضاعفات التي يولدها الدواء الأول، فلذلك ينبغي على الطبيب عرض المضاعفات على المريض حتى يتجنبها ـ المعد.

Digitized by Google

الآداب المتأخرة

ويظهر من بعض الروايات الواردة في باب الدعاء أن هناك بعض الأعمال تأتي من باب المعقبات للدعاء وهي بمثابة الآداب المتأخرة، ولها تأثيرات إيجابية في استجابته وهي بمثابة قول «آمين» الذي يدعم استجابة الدعاء، ومن ذلك الصلاة على النبي الكريم ﷺ وعلى آله الأطهار التي سبق وتحدثنا عن أن تقديمها على الدعاء من شرائط الاستجابة، فقد روي عن الصادق عليه السلام: «من كانت له إلى الله عز وجل حاجة فيبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط»[1].

ومن ذلك مسح اليدين على الوجه والرأس[2]: فقد روي

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٩٤، عن مكارم الأخلاق: ٢٧٥، وفيه أيضاً أنه ﷺ قال: «لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء، اجعلوني في أول الدعاء وآخره ووسطه».

(٢) لقد ثبت علمياً أن الكلام والموسيقى مؤثران في الحيوان والنبات والجماد ولها تأثيرات قد تدوم لبعض الوقت. ولسماحة المؤلف تجارب شخصية حول التحدث مع النبات وتأثيره على نموه، فما بالك بالإنسان، وأن قراءة الدعاء أمام الكفين الممدودتين آثارٌ مادية قابلة للانتقال إلى الوجه بعد المسح. ولسماحة المؤلف أيضاً إشارات وضّاءة في هذه الاتجاهات في باب التشريع من موسوعته الرائعة لدى =

Digitized by Google

عن الصادق عليه السلام «ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيى الله عز وجل أن يردها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتىٰ يمسح على وجهه ورأسه»[1].

ويذكر في هذا الصدد أيضاً إن على الداعي أن يختم طلباته ودعواته من الله سبحانه وتعالىٰ ببعض الكلمات والأدعية المأثورة، ومن تلك ما روي عن الصادق عليه السلام: «إذا دعا الرجل فقال بعدما دعا: ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله»، قال الله عز وجل: «استبسل عبدي واستسلم لأمري اقضوا حاجته»[2].

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «ما من رجل دعا فختم دعاءه بقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلاّ أجيب صاحبه»[3].

وذكر أرباب العلم والمعرفة كلمات أخرىٰ تعقب على طلب الحاجات أوردها العلماء في كتب الأدعية والذكر.

= بيانه الخلفية العلمية لكثير من المسائل الفقهية ـ المعد.

(١) الكافي: ٢/ ٤٧١، من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢١٣.

(٢) الكافي: ٢/ ٥٢١.

(٣) أمالي الصدوق: ١٦٦.

Digitized by Google

أدب الدعاء وأسلوبه

كما أنّ لكل إنسانٍ فوارق تميّزه عن غيره كذلك لكل قوم خصائص تميزهم عن سواهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[1]، كذلك فإن لكل طائفة ومجموعة لحناً أدبياً خاصاً بها، وبلاغة مميزة عن غيرها، فالأدب المغربي يختلف عن العراقي كما يختلف الأدب الهندي عن العربي في مضمونه ومحتواه، واختيار مفرداته وبدائع كلماته.

وإذا ما أمعنا النظر في أشعار قوم عرفنا اتجاه ناظمها[2]، فشعر الفقيه[3] يختلف تماماً عن شعر الحكيم، وكلاهما يختلفان عما ينظمه السياسيون اختلافاً جوهرياً، بغض النظر عن المعنىٰ والمضمون، بل في البدائع اللفظية واختيار الألفاظ أيضاً، وهذا

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) لقد ذهب سماحة المؤلف في باب المدخل إلى الشعر الحسيني وغيره إلى أن مميزات كل فرد بشري ولعل غير البشري أيضاً لا يقتصر على بصمة الأنامل بل يتعداها إلى حدقة العين وإلى نبرة الصوت وترجرج الكتابة وإلى الإنشاء والنظم وغيرها، فكل واحدة منها كفيلة إلى تحديد هوية صاحبها شرط أن نتقن المميزات والخصوصيات ـ المعد.

(٣) وقد ألف بعض الكتاب كتاباً باسم شعر الفقهاء.

Digitized by Google

أيضاً ما نلاحظه في الدعاء فإن الدعاء الصادر عن الرسول ﷺ وأهل بيته له نكهة توازي نكهة ما نزل من السماء، حيث أنها صدرت من خريجي مدرسة واحدة، وهذا الأسلوب الأدبي الخاص بهم هو الذي يجعلنا نميز به الأصيل عن الدخيل.

فالأدعية المأثورة تخرج من القلب وتقع في القلب وتخلق جواً من الطمأنينة التي يقول عنها سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، فأسلوب هذا النوع من الدعاء يختلف عما ألّفه الآخرون في اتجاهين: اتجاه اللفظ واتجاه المعنىٰ، وكلاهما له التأثير في تربية الإنسان وانتصاره على الشر.

ولعل من الأفضل أن نذكر عينات من أدعية القرآن[2] والرسول وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام، ثم نتحدث عن بعض الفوارق والمميزات على سبيل المثال.

● دعاء القرآن:

يتجاوز عدد المقطوعات الدعائية في القرآن مائة مقطعٍ[3] نختار عدداً منها للتعرف عليها:

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) فالقرآن بحد ذاته وبغض النظر عن جهاته الأُخرىٰ كتاب أدبي رائع الأُسلوب، قال عنه عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٤١ «جمع القرآن أساليب العرب في الجاهلية وعصر الدعوة بجميع خصائصها هنا في الجانب الخيالي منها مما دعا العرب إلى أن يقولوا عن القرآن أنه شعر وعن الرسول أنه شاعر».

(٣) راجع كتاب أدعية القرآن للسيد هبة الدين الشهرستاني حيث وزعها على عشرين باباً وهي كالتالي: =

Digitized by Google

١ ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[١].

٢ ـ ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[٢].

٣ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٣].

٤ ـ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٤].

٥ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

= ١ ـ في الاستعاذة بالله من الشيطان، ٢ ـ في الاستعاذة بالله من الشر والأشرار، ٣ ـ في الاستعاذة من النار والعذاب، ٤ ـ في الدعاء للأبوين، ٥ ـ في الدعاء لطلب الذرية والأزواج، ٦ ـ في الدعاء للذرية، ٧ ـ في الدعاء للإخوان، ٨ ـ في الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، ٩ ـ في الدعاء لطلب الهداية والاستقامة، ١٠ ـ في الدعاء لطلب الخير، ١١ ـ في الدعاء لطلب العلم والحكمة، ١٢ ـ في طلب الرحمة والغفران، ١٣ ـ لطلب التوبة وقبول الأعمال، ١٤ ـ لطلب حسن المثوىٰ، ١٥ ـ لطلب الرزق واليسر في الأمور، ١٦ ـ لطلب السلامة والأمان، ١٧ ـ لطلب النصر والقوة، ١٨ ـ لطلب الصبر والتوفيق، ١٩ ـ لطلب النجاة من الظالمين، ٢٠ ـ لطلب الدخول في صف الأخيار.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٨٣ ـ ٨٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

Digitized by Google

عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

٦ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

٧ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

٨ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[4].

٩ ـ ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[5].

١٠ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[6].

١١ ـ ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[7].

١٢ ـ ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[8].

١٣ ـ ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[9].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) سورة الممتحنة،الآية: ٥.
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.
(٥) سورة الإسراء،الآية: ٢٥.
(٦) سورة إبراهيم،الآية: ٣٨.
(٧) سورة هود،الآية: ٤٧.
(٨) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

Digitized by Google

١٤ ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[١].

١٥ ـ ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

١٦ ـ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣].

هذه آيات بينات من الذكر الحكيم تُعلمنا كيفية الدعاء في شتىٰ المجالات.

● دعاء الوحي:

وجاء في الحديث القدسي عن تعليم الله عز وجل لنبيه محمدﷺ هذا الدعاء:

ـ «أللّهُمَّ اخْتَرْ لِي بِعِلْمِكَ، وَوَفِّقْنِي بِقُدْرَتِكَ لِرِضَاكَ وَمَحَبَّتِكَ، اللَّهُمَّ اخْتَرْ لِي بِقُدْرَتِكَ وَجَنِّبْنِي بِعِزَّتِكَ مَقْتُكَ وَسَخَطُكَ، اللَّهُمَ اخْتَرْ لِي فِيمَا أُرِيدُ مِنْ هٰذَيْنِ الأَمْرَينِ[٤] أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ وَأَرْضَاهُمَا لَكَ وَأَقْرَبَهُمَا مِنْكَ...»[٥].

● دعاء الرسولﷺ:

لقد ترك الرسول محمدﷺ أدعية جمّة فيها الكثير من

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٤) تسمي الأمرين حين الدعاء.
(٥) كلمة الله: ٣٢٢.

Digitized by Google

المعاني السامية وفيها درس لمن يريد الوقوف أمام خالقه العظيم[1].

١ ـ ومن ذلك دعاؤه في الطائف[2] الذي يقول فيه: «أللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النّاسِ، يا أَرْحَمَ الرّاحمين أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفين، وَأَنْتَ رَبِّي، إلىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إلىٰ بَعيدٍ يَتَهَجَّمني[3]؟ أَمْ إلىٰ عَدُوٍّ مَلِكْتَهُ أَمْري؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا أُبالي، وَلٰكِنْ عافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلماتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْر الدُّنْيا وَالآخِرَة، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبىٰ حَتّىٰ تَرْضىٰ، وَلا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِكَ»[4].

---

(١) ومن أدعية الرسول ﷺ بل وآله عليهم السلام يمكن الاستشعار بأنهم يعملون ويدعون، إذ يقرنون أعمالهم بالدعاء، ولم يتوانوا من نصرة الحق في أصعب الظروف، كما لا ينسوا الابتهال إلى الله جل وعلا، وهذا درس عملي لكل من يريد اتباع الحق ـ المعد.

(٢) الطائف: مدينة جبلية في الحجاز تقع جنوب شرقي مكة وتبعد عنها ٨٨ كيلومتراً، خرج إليها الرسول ﷺ بعد البعثة عام ١٣ ق.هـ وقبل الهجرة إلى المدينة فلاقىٰ بها من ثقيف الأذىٰ، ولكنه حاصرها بعد أن فتح مكة وذلك في ١٤/ ١٠/ ٨ هـ وحتىٰ ٩/ ١٠/ ٨ هـ ثم أسلم أهلها.

(٣) يتهجمني: يستقبلني بوجه كريه.
وللإمام الصادق عليه السلام في بعض أدعيته عندما طلب المنصور العباسي قريبا منه: «أنت رحماني، إلى من تكلني إلىٰ بعيد يتجهمني، أو عدوّ يملك أمري، وإن لم تك عليّ ساخطاً فما أبالي غير أن عفوك لا يضيق عنّي. ورضاك ينفعني، وكنفك يسعني..» بحار الأنوار: ٩١/ ٢٧٨.

(٤) سيرة الرسول وخلفاؤه: ٢/ ٢٦٣ عن سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٠. =

Digitized by Google

٢ ـ ومما قاله في يوم بدر[١]: «أللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَإِنْكَ رَجائي في كُلِّ شِدَّةٍ، وأَنْتَ لِي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقة وَعِدة، وَكَمْ مِنْ كَرْبٍ يَضْعَفُ عَنْهُ الفُؤادُ، وتَقِلّ فيه الحِيلة وَيَخْذل فِيه القَريب، وَيَشْمُتَ بِهِ العَدُو، وَيَعْنيني فِي الأمور، أَنْزَلْتَهُ بِكَ، وَشَكَوْتُهُ إِلَيكَ، راغِباً فِيه إِلَيْكَ، عَمَّنْ سِواكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَه عَنّي وَكَفَيْتَه فأَنْتَ وَلِيّ كُلَّ نِعْمَةٍ، وَصاحِبَ كُلَّ حاجةٍ، وَمُنْتَهىٰ كُلَّ رَغْبَةٍ، فَلَكَ الْحَمْدُ كَثيراً وَلَكَ الْمَنُّ فاضِلاً»[٢].

٣ ـ ومن دعائه يوم أُحد[٣]: «أللّهم لكَ الْحَمْدَ وإِلَيْكَ الْمُشْتَكىٰ، وأَنْتَ المُستَعانُ»[٤].

٤ ـ ومن دعائه ليلة الأحزاب[٥]: «يا صَريخ المكروبينَ، يا

= ولا يخفىٰ أنه دعا بهذا الدعاء بعدما التجأ إلى حائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة مما فعَل به سفهاء بني ثقيف في الطائف حيث أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتىٰ اجتمع عليه الناس يستهزؤون به ويضربونه بالحجارة.

(١) بدر: قرية تقع جنوب غربي المدينة في طريق مكة على بعد نحو ١٥٤ كيلومتراً منها، قريبة من ساحل البحر الأحمر، وقع فيها معركة بدر الكبرىٰ في ١٧/ رمضان/ ٢ هـ.

(٢) مهج الدعوات: ٦٩.

(٣) يوم أُحد: معركة وقعت بين المسلمين والمشركين في السابع من شهر شوال عام ٣ هـ عند جبل أحد الواقع على بعد نحو ٥ كيلومترات من المسجد النبوي، والجبل يقع في شمال المدينة ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ستة آلاف متر تقريباً، وفي هذه المعركة قتل عم الرسول صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب وقبره هناك مزار معروف.

(٤) مهج الدعوات: ٧٠.

(٥) يوم الأحزاب: معركة دارت بين المسلمين وسائر قوى الكفر على مشارف =

Digitized by Google

مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرين اكْشِفْ عَنِّي هَمّي وَغَمِّي وَكُرْبَتِي، فَإنَّكَ تَعْلَمُ حالي وَحَالَ أَصْحابي واكْفِنِي هَوْلَ عَدوِّي»[1].

٥ ـ ومن دعائه يوم حنين[2]: «رَبِّ كنتَ وَتَكُونُ حَيّاً لاَ تَمُوتُ، تَنامُ العُيونُ وَتَنْكِدُ النُّجُومُ، وأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ»[3].

٦ ـ ومن دعائه في يوم وادي القرىٰ[4]: «أللَّهُمَّ احجبني بِسِتْرِكَ واسْتُرْنِي بِعزِّك، واكنفني بِحفظك، واحْفَظني بِحِرْزِك، واحْرِزْني في أَمْنِك، واعْصِمْني بحياطك، وَحُطَّني بِعزِّكَ، وامْنَعْ مِنّي بِقُوَتِكَ، وَقَوِّني بِسُلْطَانِكَ، ولا تُسلِّطْ عَلَيَّ عَدُوّاً بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، إنّكَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ»[5].

= المدينة وذلك في ٢١/ ١١/ ٥ هـ، ويسمىٰ أيضاً معركة الخندق حيث حفر المسلمون خندقاً على مشارف المدينة حيث كان على بعد ثلاثة كيلومترات من المدينة، وقد امتد الخندق من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي وذلك بطول نحو ٥,٥ كيلومتر وبعرض لا يقل عن خمسة أمتار وارتفاع ٢,٥ متر، وفيها قتل الإمام علي عليه السلام عمرو بن عبد ود العامري.

(١) مهج الدعوات: ٧٠.

(٢) يوم حنين: معركة وقعت بين المسلمين والمشركين في العاشر من شهر شوال عام ٨ هـ بعد فتح مكة وكانت الغلبة للمسلمين، وحنين واد بين مكة والطائف.

(٣) مهج الدعوات: ٧١.

(٤) وادي القرىٰ: وبها أرض فدك تبعد عن المدينة نحو طريق الشام ١٤٠ كيلومتراً وعن خيبر نحو خمسين كيلومتراً، سار إليها الرسول صلى الله عليه وآله بعد أن انتهى من فتح خيبر وذلك في أوائل شهر صفر عام ٧ هـ.

(٥) مهج الدعوات: ٧٤، ومن الملاحظ أنه بدأ كل مقطع بما انتهى المقطع الأول.

Digitized by Google

٧ ـ وقال في دعائه اليومي: «أللهم إنيّ أعوذُ بِكَ منْ شرّ نَفسي ومِن شرّ كلّ سلطان شديد، ومِنْ شرّ كلّ شيطان مَريد، ومِنْ شرّ كلِّ جبّار عنيد، ومنْ شرَّ قضاء السوء، ومِنْ كلِّ دابة أنتَ آخذ بناصيتها إنّك على صراط مستقيم، وأنت على كلّ شيء حفيظ»[١].

٨ ـ ومن دعائه في آخر ساعة من يوم الجمعة: «سُبحانكَ لا إله إلا أنتَ يا حَنّانُ يا مَنّانَ، يا بَديعَ السَّماواتِ والأرضِ، يا ذا الجَلالِ والإكْرامِ»[٢].

٩ ـ وقالﷺ في آخر دعاء طويل له يسأل الله بأسمائه ويعددها: «اللهم إنّي أسألُك بحرمة هذه الأسماء وبحرمةِ تفسيرها فإنّه لا يعلم تفسيرها غيركَ أن تُصلّي عَلى مُحَمَّدٍ وآله وعَلىٰ جَميعِ الأنبياءِ والمُرْسَلين، وَأنْ تَستجيبَ دُعائي وَارْحمْ تَضرُّعي، وأَدْخلني في عبادك الصالحين، وآتني في الدُّنيا حَسنةً وَقِنا عذابَ النّارِ وَتَوفّنا مَعَ الأبْرار، ولا تُخْزنا يَومَ القيامَةِ إنّكَ لا تُخْلِفُ الميعاد»[٣].

---

(١) مهج الدعوات: ٧٥.

(٢) البلد الأمين: ٨٩.

(٣) البلد الأمين: ٤٢٨. وهناك أدعية كثيرة مروية من الرسولﷺ لا مجال لذكر عيّنة منها لأنها تتعارض والإيجاز، ولكن هناك دعاء ورد عنه يعرف بدعاء الفرج جاء في مهج الدعوات: ٩٠ فيه الكثير من المعاني السامية ذات العطف والحنان حيث يخاطبه ربه قائلاً: يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير، يا عصمة الخائف المستجير، يا من له التدبير وإليه التقدير، يا من عليه العسير سهل يسير ـ إلى أن يقول ـ يا سند من لا سند له، يا ذخرَ من لا ذخر =

Digitized by Google

نكتفي بهذا القدر مِنْ روائع دعاء الرسول ﷺ لننقل بعض دعوات ابنته التي تفرغ عن لسانه ﷺ.

● دعاء فاطمة الزهراء عليها السلام:

وهو كثير أيضاً نختار منه بعض المقطوعات التي تخاطب بها ربّها بأُسلوب علّمها إياها أبوها لتقول:

١٠ ـ «أللهم قَنّعني بِما رَزقْتني، وَاسْتُرني وعافني أبداً ما أَبْقَيتني، وَاغفِرْ لي، وَارْحمني إذا تَوفَيتني، اللّهمَ لا تُعْيني في طلبِ ما لا تُقدّرِ لي وما قدّرته عَليّ فاجعله مُيسَّراً سَهْلاً، اللّهم كَافِىءْ عَنّي والديَّ، وكل مَنْ لَه نعمةٌ عَليّ خَيْرَ مُكافأةٍ، اللّهم فزعني لما خَلَقْتَني لَه، وَلا تُشْغلني بما تكلفتَ لي بِه، ولا تُعذّبني أنا أَسْتَغفركَ، ولا تحرمني وَأنا أَسألكَ، اللّهم ذَلِلّ نَفسي في نَفسي وَعظِّمْ شأنكَ في نَفسي، وألهمني طاعتكَ والعمل بما يُرضيك، والتجنُّبَ لما يسخطك يا أرحم الراحمين»[1].

= له، يا عز من لا عز له، يا كنز من لا كنز له، يا حرز من لا حرز له، يا عون من لا عون له، يا ركن من لا ركن، يا غياث من لا غياث له.. إلى آخره، إذ يحتوي على ألفاظ ومعاني تجعل العبد يفنىٰ بين يدي خالقه وينصهر أمام معبوده أو يجلو قلبه ويصفو ضميره ويرتقي إليه ويأخذ من نهله.

(١) مهج الدعوات: ١٤١.

وجاء في البحار: ٩١/ ٢٢٥ عن كتاب اختيار ابن الباقي: دعاء للسيدة الزهراء عليها السلام التي تقول: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم إنّي أسألك كلمة الإخلاص، وخشيتك في الرضا والغضب =

Digitized by Google

● ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء علّمه لكميل بن زياد النخعي:

١١ ـ «أللّهم فاقبل عُذْري، وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرّي، وَفُكَّني مِنْ شَدِّ وَثاقي، يا ربَّ إرْحَمْ ضعفَ بَدني وَرِقَةَ جِلْدي وَدِقَةَ عظمي، يا مَنْ بَدَأَ خَلْقي وذكري وتربيتي وبرّي وتغذيتي، هبني لابتداء كَرَمِكَ وسالِف بِرِّكَ بِي، يا إلهي وَسيّدِي وَربّي أتُراكَ مُعذبي بِنارِكَ بَعدَ توحيدكَ، وَبَعْدما انْطَوىٰ عَلَيهِ قَلبِي مِنْ مَعرفتكَ، ولهج بهِ لِساني مِن ذكركَ، واعتقدُه ضَميري مِنْ حُبّكَ، وبعد صِدْق اعترافي ودعائي خاضعاً لربوبيتك، هَيْهاتَ أَنْتَ أَكْرَمَ مِنْ أَن تُضيّع مَنْ ربّيتَه، أو تُبْعد مَنْ أدْنَيْتَه أو تُشَرِّدَ مَنْ آويته، أَو تسلم إلىٰ البلاءِ مَنْ كفيتَهُ وَرَحِمْتَه، وليتَ شِعري يا سيدي وإلٰهي وَمَولاي أَتُسَلِطُ النّارَ عَلَى وُجوهٍ خَرَّتْ لِعظمتِكَ ساجدةً، وَعَلىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ بتوحيدكَ صادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً، وَعَلىٰ قلوبٍ اعْتَرَفَتْ بإلٰهِيَّتِكَ مُحققةً، وَعلىٰ ضَمائر حَوَتْ مِنَ الْعِلْم بِكَ حتّىٰ صارَتْ خاشعةً، وَعلىٰ جَوارِحَ سَعَتْ إلى أوطانِ تَعَبُدِكَ طائعةً، وأشارَتْ باسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً، ما هَكَذا الظَّنُ بِكَ ولا أُخْبِرنا

= والقصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك والشوق إلىٰ لقائك، من غير ضرّاء مضرّة، ولا فتنة مظلمة، اللّهم زَيِّنّا بزينة الإيمان واجْعلنا هداة مهديين يا رب العالمين».

ودعاء النور من الأدعية المباركة والسامية جداً إلا أنه ليس من تأليف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بل مما علمه الله نبيه ليعلم ابنته الزهراء وتداوم على قراءته.

Digitized by Google

بِفَضْلِكَ عَنْكَ يا كريمُ يا رَبّ»[1].

● ويقول نجله الأكبر الإمام الحسن عليه السلام الذي هو نسخة عنه وعن جده وأمه:

١٢ ـ «أللَّهُمَّ يا مَنْ جَعَلَ بَيْنَ البحْرينِ حاجزاً وبَرْزخاً وَحِجراً مَحجوراً، يا ذا القُوّةِ والسُّلطان، يا عَلِيَّ المَكَانِ، كَيْفَ أخافُ وَأَنْتَ أملي، وَكيفَ أُضامُ وَعَلَيكَ مُتَّكلي، فَغَطِنّي مِنْ أعدائِك بِسِتْرِكَ، وأظْهرني علىٰ أعدائي بِأَمْرِكَ، وَأَيّدنِي بِنَصْرِكَ إلَيْكَ أَلْجَأُ وَنَحْوَكَ المُلْتَجأُ فاجْعَلْ لِي مِنْ أمْري فَرجاً وَمَخْرجاً.. ـ إلى أن يقول ـ: أللَّهُمَّ إنّي أسْأَلُكَ الشِّفاءَ مِنْ كُلِّ داءٍ، وَالنَصْرَ

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٧١.
وله أيضاً دعاء الصباح الذي هو من أروع أدعيته عليه السلام وكل أدعيته رائعة والذي يقول في أوله: «اللّهم يا منْ دَلع لسان الصباح بنطق تبلُّجه، وسرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، وأتقن صنع الفلك الدوّار في مقادير تبرجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه» وهنا نود أن نقف عند تصوير الإمام عليه السلام للصباح في صورة له لسان فيسته، كما صور لنطق ذلك اللسان نوراً يعم كل الأرجاء، هذا تصوير من تصويرات الدعاء الوارد عن أهل البيت عليهم السلام الذين بنوا كلامهم عليه، كما فعل الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [الرعد: ١٤]، فإنه سبحانه وتعالى يصور لك شخصاً واقفاً على مشرعة وقد بسط يده ويغترف من ذلك الماء ليوصله إلى فمه ولكن لا يستطيع لا لبعد الماء ولا... بل لأن الماء لا يستجيب له كما أن الدعاء لغير الله لا يستجاب، فدعاء أهل الذكر يتلو تلو القرآن في تصويره الأدبي، كما سيأتي الكلام عنه بإجمال إن شاء الله تعالى.

Digitized by Google

عَلَى الأعداءِ، وَالتَّوْفِيق لِما تُحِبُّ وَتَرضىٰ، يا إلٰه مَنْ في السَّماءِ وَالأَرْضِ وَما بينهما وَما تَحْتَ الثَّرىٰ، بِكَ أَسْتَشْفي وبِكَ اسْتَعْفي وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، فَسَيَكْفيكَهُم اللَّهُ وَهُوَ السَّميع العَليم»[1].

● وأما شقيقه الإمام الحسين عليه السلام الذي نقدم صحيفته هذه فهو الآخر الذي انتهل من مدرسة القرآن والرسول والوصي ونكتفي بعينة صغيرة جداً عنه[2] وعن أخته الشريكة في جهاده زينب عليها السلام حيث قال يوم عاشوراء لما نزل به ما نزل من المصائب: «هَوَّنَ ما نَزَل بِي أنَّه بِعَيْنِ اللَّهِ»[3] وقالت أخته عندما وقفت على مصرع أخيها الحسين عليه السلام تخاطب رَبَّها: «اللهم تقبّل منا هذا القربان»[4].

● وأما الإمام زين العابدين عليه السلام:

فإنه استخدم الدعاء في عهده كسلاح يقاوم به الأعداء، ومدرسة يهدي بها الأولياء، ونوراً يهتدي به المضل، وطريقاً يهوي إليه الممل، وَمِنْ تلك الدعوات قوله من دعاء علّمه لأبي حمزة الثمالي فيبدأ بقوله:

---

(١) كلمة الإمام الحسن: ٢١٩.

(٢) إنما لم يتطرق سماحة المؤلف إلى أدعية الإمام الحسين عليه السلام لأنه قد جمع جميع الأدعية المنسوبة إليه في كتابه الصحيفة الحسينية الكاملة والتي تقع في جزأين، وما هذا الذي بين يديك إلا مقدمة تمهيدية لتلك، فحتى يتجنب التكرار كما هو ديدنه ترك نقل نموذجٍ من أدعيته إلى الفصول الآتية من كتابه ـ المعد.

(٣) مقتل الحسين للمقرم، عن اللهوف: ٦٦.

(٤) زينب وليدة النبوة والإمامة: ١٤٤.

Digitized by Google

١٣ ـ «إلٰهي لا تُؤدبني بِعقوبَتكَ ولا تَمْكُر بِي فِي حيلَتكِ، مِنْ أَيْنَ لي الخَيْرُ يا ربِّ وَلا يُوجدَ إلا مِنْ عِنْدِكَ، وَمِنْ أَيْنَ لي النجاة ولا تستطاعُ إلا بِكَ، لا الّذي أَحْسَنَ اسْتَغْنىٰ عَنْ عَوْنِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَلا الّذي أساءَ واجترأ عَلَيْكَ وَلم يُر مِنْكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ، يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ».

إلى أن يقول: «وَيَجْرأني عَلى معصيتك حِلْمُكَ عَنّي، وَيَدْعُوني إِلىٰ قِلَّةَ الحياءِ سِتْرُكَ عَليَّ، ويُسرعني إلىٰ التَّوَثُّبِ عَلىٰ مَحارِمِكَ مَعْرِفَتي لِسعةِ رَحْمَتِكَ وَعظِيمِ عَفْوِكَ يا حَلِيمُ يا كَريمُ..».

إلى أن يتضرع قائلاً:

«أرىٰ نَفْسِي تُخادعني وأيّامي تُخاتِلُني، وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ رأْسي أَجْنِحَةُ الْمَوْتِ، فمالي لا أبكي، أبكي لِخروجِ نَفسي، أبكي لِظُلْمَةَ قَبْري، أَبْكي لِضيق لَحدي...».

ويستدرج قائلاً:

«أللَّهُمّ إنّي أعُوذ بِكَ مِنْ الكَسَلِ والفَشَلِ والْهَمِّ والجُبْنِ والبُخلِ، وَالْغَفْلَةِ والقَسْوَةِ والمَسْكَنةِ، والفَقْرِ والفاقَةِ وَكُل بليةٍ، والفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ، وأعوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَقْنَعْ، وَبَطْنٍ لا يَشْبَعْ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعْ، وَدُعاءٍ لا يُسمَعْ، وعَمَلٍ لا يَنْفَعْ...».

إلىٰ أن يختمَ الدعاء بقوله:

«أللَّهُمَّ إملأْ قَلبي حُبّاً لكَ وَخشيَةً مِنْكَ، وتصديقاً لَكَ، وإيماناً بِكَ، وَفَرَقاً مِنْكَ، وَشَوقاً إلَيكَ، يا ذَا الجلالِ وَالإكْرام، أللَّهُمَّ إنّ لَكَ حقوقاً فَتَصدق بها عَلَيّ، وَلِلْناس قبلي تَبِعاتٌ

Digitized by Google

فَتَحَمّلْها عَنّي، وَقَدْ أَوْجَبْتَ لكِلِّ ضَعيف قِرًى وَأنا ضَيْفُكَ فاجْعَلْ قِرايَ اللَّيْلَة الجنَّةَ، يَا وَهابَ الجَنَّةِ يَا وَهّاب المَغْفِرَةِ، وَلا حَولَ ولا قُوّة إلاّ بِكَ»[1].

● ومن دعاء الإمام الباقر عليه السلام، فله مجموعة من الأدعية منها دعاؤه الذي كان يسميه الجامع، ومما جاء فيه:

١٤ ـ «أللَّهُمَّ إني أسْأَلُكَ مفاتيح الخَيْرِ وخَواتِيمَه، وَشرائِعَهُ وَسوابِقَهُ، وَفَوائِدَهُ وبركاتَه، وما بلَغ عِلْمَه عِلْمي، وَما قَصُرَ عَنْ إحصائِه حِفْظي، اللَّهُمَّ انْهَجْ لِي أسبابَ مَعْرِفَتِه، وافْتَح لي أبْوابَه، وَغَشّني بَركاتِ رَحْمَتِكَ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِعِصْمَةٍ عَنِ الإزالَةِ عَنْ دِينِكَ، وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنْ الشَّكِ، وَلا تُشْغِل قَلْبي بِدُنْيايَ، وَعاجِلْ مَعاشِي عَنْ آجل ثَوابِ آخرتِي، واشْغَلْ قَلْبي بِحِفْظِ ما لا تَقْبَلُ مِنّي جَهْلُه، وَذَلِكْ لِكُلِّ خَيْرٍ لِساني، وَطَهِّرْ قَلْبي مِن الرياء، وَلا تُجْرِهِ في مَفاصِلي واجْعَلْ عَمَلي خالِصاً لكَ...»[2].

● دعاء الإمام الصادق عليه السلام يقول في بعض أدعية الجمعة:

١٥ ـ «أللَّهُمَّ... إذا أوْحَشَتْني الغُرْبة آنَسَني ذِكْرك، وإذا صبَّتْ عَلَيَّ الأمورُ استَجَرْتُ بِكَ، وإذا تَلاحكت[3] عَليَّ الشَدائدُ أمَّلْتُكَ، وَأَيْنَ يَذْهَبُ بي عَنْكَ وأَنْتَ أقْرَبُ بِي عَنْكَ وأَنْتَ أقربُ

(١) مفاتيح الجنان: ١٨٦ ـ ٢٠١.
وللإمام السجاد عليه السلام أدعية في غاية الإبداع فمن أراد التعرف عليها فعليه بالصحيفة السجادية.
(٢) بحار الأنوار: ٩١/ ٢٦٩ عن مهج الدعوات: ١٧٣.
(٣) تلاحكت الشيء بالشيء: ألزقه به، والشيء تداخل.

Digitized by Google

مِن وَرِيْدي، وأحْصَنُ مِنْ عَديدي[1]، وأوجد مِنْ مَكاني، وَأَصحُّ في مَعْقولي، وأزمَّةِ الأُمورِ كلّها بِيَدِكَ، صادرةٌ عَنْ قَضائِكَ، مُذْعِنَةً بالخضوعِ لِقُدْرتِكَ، فقيرةٌ إلىٰ عَفْوكَ، ذاتُ فاقَةٍ إلىٰ قاربٍ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَقَدْ مَسَّني الفَقْرُ، وَنالني الضُّرُ، وَشَمَلَتْني الخَصاصَةُ، وَعَرَتْني الحاجَةُ، وَتَوَسَّمْتُ بالذلَّةِ، وَغَلَبَتْني المَسْكَنَةُ، وَحَقَّتْ عَلَيَّ الكَلِمَةُ، وَأَحاطَتْ بِي الخَطِيئَةُ، وَهذا الوَقْتُ الّذي وَعَدْتَ أوْلِياءَكَ فِيهِ الإجابَةَ، فامْسَحْ ما بي بِيَمينكَ الشافِيةَ، وانْظُر إليَّ بِعَيْنِكَ الراحِمَة، وأدْخِلني في رَحْمَتِكَ الواسِعة»[2].

● ويقول الإمام الكاظم عليه السلام في دعاء له:

١٦ ـ «أللَّهُمَّ أنتَ مَلاذي فَبِكَ أَلوذُ، وَأنْتَ مَعاذِي فَبِكَ أعُوذُ، اللَّهُمَّ إنَّ خَوفي أمسىٰ وأصْبَح مُسْتجيراً بِوَجهِكَ الْباقي، الّذي لا يُبلىٰ يا أَرْحَمَ الراحمين»[3]..

ويقول في آخر دعاء له وهو في سجن هارون الرشيد[4]:

«يا مُخَلِّصَ الشَّجَرِ مِنْ بَيْنِ رَمْلٍ وَطين وَماءٍ، وَيا مُخَلِّصَ اللَّبَنِ مِنْ بَيْن فَرْثٍ ودَم، وَيَا مُخلِّصَ الولدِ مِنْ بَين مَشيمةٍ وَرَحم، وَيَا مُخلِّصَ النارِ مِنْ بَين الْحَدِيدِ وَالحَجَرِ، وَيا مُخَلِّصَ الرُوحِ مِنْ

(١) العديد من القوم: من يُعَدُّ فيهم.
(٢) بحار الأنوار: ٩١/ ٢٧٧.
(٣) بحار الأنوار: ٩١/ ٣٣٠.
(٤) هارون الرشيد: هو ابن محمد المهدي بن المنصور العباسي (١٤٩ ـ ١٩٣ هـ) خامس ملوك العباسيين في العراق، ولد بالري ـ إيران، وتوفي في سناباذ بطوس إيران ودفن ـ عند الإمام الرضا عليه السلام.

Digitized by Google

بَيْنِ الأَحْشَاء والأمْعاءِ، خَلِصْنِي مِنْ يَدَيْ هارونَ»[1].

● ويقول الإمام الرضا عليه السلام في جملة من أدعيته:

١٧ ـ «اللَّهُمَّ إنّكَ أَنْتَ مَوْلاي وَمَلاذي فَبِكَ أَلوذ، وأنْتَ مَعاذي فبِكَ أعوذ، يا من دانَ لَهُ الجَبابِرَةِ، وَخَضَعَتْ لَهُ عَماليق الفَراعِنَةِ، أَجِرْني اللَّهُم مِنْ خِزْيِكَ وَكَشْفِ سِتْرِكَ، وَنِسْيَانِ ذِكْرِكَ، وَالإضْراب عَنْ شُكْرِكَ، أنا فِي كَنَفِكَ لَيْلي وَنَهَارِي، وَنَوْمِي وَقَرَارِي وانْتِباهي وانْتِشاري، ذِكْرُكَ شِعاري، وَثناؤُكَ دِثاري، اللَّهُم إنَّ خَوْفي أمسىٰ وَأَصْبَح مُسْتَجيراً بِكَ، وَبأمانِكَ مِنْ خَوْفِكَ وَسُوءِ عَذابِكَ، واضربْ عَلَيَّ سُرادِقاتِ حِفْظِكَ، وَارْزُقْني حِفْظَ عِنايتِكَ، بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الراحمينَ، آمين رَبّ العالمين»[2].

● والإمام الجواد عليه السلام يقول في بعض مناجاة ربه:

١٨ ـ «أللَّهُمَّ إنّ الرجاءَ لِسِعَةِ رَحْمَتِكَ أَنْطَقَني بِاسْتِقالَتِكَ، وَالأَمَلَ لأناتِكَ وَرِفْقِكَ شَجَّعَني عَلىٰ طَلَبِ أَمانِكَ وَعَفْوِك، وَلي يا ربِّ ذُنوبٌ قَدْ واجَهَتْها أوْجُهُ الانتقام، وَخَطايا قَدْ لاحَظَتها أَعْينُ الاصْطلام، واسْتَوْجَبتُ بها علىٰ عَدْلِكَ أليمَ العَذابِ، واسْتَحْقَقْتُ بِإجْتراحِها مُبير العِقابِ، وَخِفْتُ تَعويقها لِإجابَتي، وردَّها إيّاي عَنْ قَضاءِ حاجَتي بإبطالها لِطَلِبتي، وَقَطْعِها لأسْبابِ رَغْبَتِي مِنْ أَجْلِ مَا قَدْ أَنْقَضَ ظَهْري مِنْ ثقْلها وَبَهَظني مِن الاسْتِقْلالِ بِحَمْلها، ثُمَّ تَرَاجَعْتُ رَبِّ إلى حِلمِكَ عَنِ الخاطِئينَ وَعفْوَكَ عَنِ المُذْنِبينَ وَرَحْمَتِكَ لِلّعاصِين، فَأَقْبَلْتُ بِثِقَتي مُتوَكِلاً عَلَيْكَ، طارحاً نَفْسي بَيْنَ يَدَيكَ،

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٩١/ ٣٥٣، عن مهج الدعوات: ٢٥٣.

Digitized by Google

شاكياً بَثّي إلَيْكَ، سائِلاً ما لا أسْتَوجِبُه من تفريج الهَمِّ، ولا أستحِقَّهُ مِنْ تنفيسِ الْغَمِّ مُسْتَقيْلاً لَكَ، إيّايَ وَاثِقاً مَوْلاَيَ بِكَ..»[1].

● ويقول الإمام الهادي عليه السلام في بعض دعواته:

١٩ ـ «يَا مَنْ تَحِلُّ بِأسمائِهِ عُقَدُ المَكارِهِ، وَيَا مَنْ يُفَلُّ بِذِكْرِهِ حَدُّ الشّدائِدِ، وَيَا مَنْ يُدْعى بِأسْمائِهِ العِظامُ مِنْ ضِيقِ المَخْرَجِ إلىٰ مَحَلِّ الفَرَجِ، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصِّعَابُ، وَتَسَبَبَتْ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابُ، وَجَرَى بِطاعَتِكَ القَضاءُ، وَمَضَتْ عَلى ذِكْرِكَ الأشْياءُ فَهي بمَشِيئَتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرةٌ، وَبِإرادَتِك دُونَ وَحْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ، وأنْتَ المَرْجُوُ لِلْمُهِمّاتِ، وَأنْتَ المَفْزَعُ لِلْملمّاتِ، لا يَنْدَفِع مِنْها إلاّ ما دَفَعْتَ، ولا يَنْكَشِفُ مِنْها إلاّ ما كَشَفْتَ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنَ الأَمْرِ ما فَدَحني ثِقْلُهُ وَحَلَّ بِي مِنْهُ ما بَهَضَني حَمْلُهُ».

إلى أن يقول: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحمَّدٍ وَٱفْتَحْ لي بابَ الفَرَجِ بِطَوْلِكَ واصْرِفْ عَنّي سُلْطانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ، وَأَنِلْني حُسْنَ النَظَرِ في مَا شَكَوْتُ، وَارْزُقْنِي حَلاوَةَ الصُنْعِ فيما سأَلْتُكَ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فَرجاً وَحِيّاً[2]، واجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً هَنيئاً..»[3].

● وأما الإمام العسكري عليه السلام فهو الآخر الذي يقول لدىٰ توجهه إلى الله سبحانه وتعالىٰ:

---

(١) مهج الدعوات: ٢٥٩.

(٢) الوَحِيّ: بفتح أوّله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه: السريع العجل، أي فرجاً عاجلاً.

(٣) مهج الدعوات: ٢٧٢.

Digitized by Google

٢٠ ـ «يا عدَّتي عِنْدَ شِدَّتِي، وَيَا غَوْثِي عِنْدَ كُرْبَتي، يا مُونِسي عِنْدَ وَحْدَتي، أحْرُسْني بِعَيْنِكَ الّتِي لاَ تَنامُ، وَاكْنفِني برُكْنِكَ الّذي لا يُرامُ»[١].

● وأما ما ورد عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فهو قوله:

٢١ ـ «يا مَالِكَ الرِقابِ، وَهازِمَ الأَحْزَابِ، يَا مُفَتِّحَ الأَبْوَابِ، يَا مُسَبِّبَ الأَسْبَابِ، سَبِّبْ لِنا سَبَباً لا نَسْتَطِيعُ لَهُ طَلَباً، بِحقِ لاَ إلٰه إلاّ الله، مُحَمَّدٌ رَسُول اللَّهِ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ وَعَلى آله أجمعين»[٢].

هذه باقة من أدعية المعصومين عليهم السلام ذكرناها لأجل التعرف على أدب الدعاء مضافاً إلىٰ الأسلوب المتبع لديهم.

وهنا لا بد من إلقاء الضوء على مُجمل هذه المقطوعات النثرية من الدعاء في اتجاهين اللفظي والمعنوي، عِلْماً بأنَّ جمالية الأدب لا تتم إلا إذا كان المعنىٰ واللفظ منسجمين يشكلان معاً قوة مؤثرة في المخاطب، محركة لمشاعره، مطابقة لوجدانه، وهذا بالطبع لا يتم إلاّ إذا تَفاعلت مع أحاسيسه، وَولّدت في داخله فرحةً أو حزناً حسَب ما يقتضيه الحال والمقام.

أولاً: الاتجاه اللفظي:

وهنا لا بد من القول بأنّ الذوق السليم يفضل أن تستخدم

---

(١) بحار الأنوار: ٩١/ ٣٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ٩١/ ٣٦٥.

Digitized by Google

الكلمات اللينة ذات التركيبة الحروفية الخفيفة في مقام الطلب والسؤال وما في فلكيهما، كما يفضل أن تستعمل المفردات القاسية المركبة من الحروف ذات الوقعة القوية في مقام النهي والانزجار وما شابههما.

فالعاشق يحاول أن يقوم بين يدي معشوقه مختاراً من الكلمات التي لها وقع خفيف مركب من حروف أغلبها تتسم بطابع اللين، ويتجنب ما استعمله السجان مثلاً في حق سجينه لدى زجره[1].

وفي الحقيقة إن المسألة مسألة رياضية ترتبط بعدد استخدام الحروف الرخوة والشديدة، ومقدار استخدام الحركة والسكون في الكلمة الواحدة المرتبطة بسائر الكلمات الأخرىٰ، مضافاً إلى المعنىٰ الذي صيغت الألفاظ لأجله، فيكون الفارق حينئذ بين الكلام المنظوم والمنثور هو أن الأول يتعبد الوزن الواحد والقافية الواحدة، والثاني لا يلتزم بهما[2].

ففي ما نحن بصدده هو الدعاء المأثور من أئمة المسلمين

---

(١) لقد حدد اللغويون للحروف فصائل مختلفة فقسموها إلى صحيحة ومعتلة، وإلى مهجورة ومهموسة، وإلى محقورة وغيرها، وإلى حروف قلقلة وغيرها، كما قسموها من حيث المخارج إلى حلقية ولهوية وشجرية وأسلية ونطعية ولثوية وذلقية وشفوية، فلو تمكن الأديب في استخدامه للكلمات المتكونة من الحروف مراعاة توافق الفصيلة مع المعنىٰ المنشود واستخدامه في أغراضه لخلق معجزة أدبية كبرىٰ.

(٢) عن تفاصيل ذلك، انظر باب المدخل إلى الشعر الحسيني من دائرة المعارف الحسينية لسماحة المؤلف، حيث له رأي في ذلك ـ المعد.

Digitized by Google

بدءاً بالرسول ﷺ وانتهاءً بالمهدي عليه السلام في مجمله روعي فيه اختيار الكلمات ذات التركيبة المناسبة والمنسجمة مع المعنىٰ المراد، مضافاً إلى الوقع والسجع اللذين هما ظاهرتان من ظواهر الأدب عند أهل البيت عليهم السلام المستلهم من القرآن الحكيم.

فللعوامل التي ذكرناها مضافاً إلى سائر المحسنات البديعية أصبح القرآن رائداً، وأصبح كلامهم فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق.

وفي الحقيقة إنّ الكلمات التي أُستخدمت في الدعاء عبر هؤلاء القادة لمخاطبة الله سبحانه وتعالى لكلمات رقيقة للغاية، بحيث أن وقعها الذاتي دون التوجه إلى معانيها يلهمك بأنها كلمات مليئة بالعطف والحنان، وقد زادها جمالية أنهم استخدموا السجع الذي من شأنه أن يوحد بين فقرة وأخرىٰ مما جعلها مِن أروع ما يتصور استخدامه في العربية.

ثانياً: الاتجاه المعنوي:

إنّ حقيقة التصوير الأدبي كما صوّرها المحاسني[1]: هو نقل صورة بيانية تعمل في صنعها روائع الأفكار والأحاسيس وبدائع البيان، تعكس لنا الوجود في مشاعره المحزونة

(١) المحاسني: هو زكي بن شكري (١٣٢٧ ـ ١٣٩٢ هـ) ولد وتوفي في دمشق، درس في دمشق وعمل في سوريا ولبنان ومصر وتركيا ضمن اختصاصه بالحقوق والأدب، له دراسات ومؤلفات منها: ديوان المحاسني، دراسات في تأريخ النهضة العربية المعاصر، وفقه اللغة المقارن.

Digitized by Google

والضاحكة، فالأدب يكاد يكون مرآة الوجود[1].

ومن هذا المنطلق إذا أمعنا النظر في نصوص النثر الدعائي نجد أنّ هذه الأدعية المباركة تعكس لنا صورة ما يختلج في صدر كل إنسان داهمته الهموم وأغرقته الغموم، فلا يجد ملاذاً ولا ملجأً إلاّ عَرْضَ ما ألمّ به إلى السلطة العليا بتضرع وانْكسار ليجلب عطف تلك القوة المطلقة فيفرج عنه ويحرره من أغلاله.

وما تَوَجُّهِنا إلىٰ هؤلاء القادة إلا لأنهم أعرف بالطرق التي توصلنا إلى الغاية المتوخاة من الدعاء، والوقوف على باب رحمة الخالق.

فتعليمهم هذه الأدعية للسائل يكون بمثابة إسعاف له إلى أقرب الطرق الكفيلة للنظر في طلباته واستجابة دعواته، فالتعبير العاطفي الذي استخدموه في طيات هذه الأدعية ليس له مثيل في تاريخ الأدب العربي.

كما أن الخضوع الذي مارسوه من خلالها له أهميته القصوىٰ في تأثير الإجابة، وليس له عديل في الخُلق الإنساني.

إن قادة الإسلام بما أنهم خريجو مدرسة الوحي والقرآن، وأوتوا بلاغة فريدة من نوعها، وقدرة فائقة على استخدام أساليب التعبير بذهنية ربانية، تتفتق منها أروع المعاني وأرقها، قاموا بمعالجة الأمراض الاجتماعية السائدة عبر تأليفهم الأدعية المناسبة وروحية الإنسان المتعطش إلى جو يسوده الطمأنينة، والتوّاق إلى

(١) الأدب الديني: ٣٥.

Digitized by Google

إقامة الصلة بربّه المبدع، والمحتاج إلى معونة خالقه القدير.

وقد صوّروا هذه المجتمعات بأحسن الصور وأبدعها كما هو الحال في القرآن[1].

(١) يقول سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن: ٦٠، «إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن والقاعدة الأولىٰ فيه للبيان، حيث يعبر بالصورة المحسة المتخلية عن المعنىٰ الذهبي، والحالة النفسية، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، كما يعبر بها عن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوتْ لها كل عناصر التخييل.

Digitized by Google

Digitized by Google

دراسة في نصوص الأدعية

سبق ونقلنا بعض العينات من أدعية القرآن والرسول ﷺ وأهل بيته وما علينا الآن إلا دراسة بعض ظواهرها وخصائصها:

فالملاحظ في كل هذه الأدعية المتقدمة وغيرها مما يملأ كتب الأدعية أنها تتبع أدب السجع إذ يقول الله تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ . .

وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . .

وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . .﴾.

فظاهرة السجع لا تختص بالأدعية القرآنية بل إن القرآن بمجمله يعتمد في رويِّه بالسجع، كما أن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام يتبعون أسلوب القرآن لا في أدعيتهم فحسب بل في كل خطبهم ورسائلهم وحِكَمِهم، يقول الرسول ﷺ فيما قدمناه من الدعاء في يوم وادي القرىٰ:

أللَّهُمَّ احجبني بسترك . .

واسترني بعزك . .

واكنفني بحفظك . .

Digitized by Google

واحفظني بحرزك..

واحرزني في أمنك..

إلى آخر دعائه.

وكذلك فعلت ابنته الزهراء عليها السلام حيث تقول:

أللهم قنعني بما رزقتني..

وَاسترني وعافني أبداً ما أبقيتني..

واغفر لي وَارْحمني إذا توفيتني..

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

يا رب ارحَمْ ضَعْفَ بَدني..

وَرِقَةَ جِلدي..

وَدقّة عظمي[1]..

وهكذا فعل أبناؤه الأطهار بدءاً بالحسنين ومروراً بالسجاد والصادقين والمعصومين من أبنائهم انتهاء بالحجة ابن الحسن

(١) فبالإضافة إلىٰ السجع الملحوظ في الدعاء المنثور وفي النص القرآني نلاحظ التنسيق في تأليف العبارات باختيار الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة أرقىٰ درجاتها، كما أن الإيقاع الموسيقي الناشىء من اختيار الألفاظ ونظمها واضح كل الوضوح فيها، وعميق كل العمق في بنائها الفني، بالإضافة إلى التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياقها والتناسب في الانتقال من معنىٰ إلى آخر، ومن غرض إلى غرض آخر، إلىٰ غيرها من المحسّنات اللفظية والمعنوية.

Digitized by Google

العسكري عليهم أفضل الصلاة والسلام[1].

ونلاحظ أيضاً أنهم مُتحدون في خطابهم لله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته الحسنى الرقيقة كقولهم يا إلٰهي يا ربّاه يا رَبِّ، واسترسالهم في ذكر صفاته الموجبة للرحم واللطف والعطف والحنان، ثم طلبهم العفو والمغفرة، ونرىٰ أن الكل يوكل أمره إلى الله ويعترف بالذنب أمام خالقه ويطالبه باللطف، لا بالعدالة لأن العدالة تقصم الظهر، حيث أنه لو أراد الله سبحانه أن يعامل الناس بعدله لما نجا من محكمته العادلة إلا من اختارهم واصطفاهم.

ونرىٰ أيضاً أنهم يغلبون غفرانه على عقابه، ورحمته على عذابه، مما يدلّنا على أنّ الله فتح لنا باب الغفران على مصراعيه، وكاد أن يوصد باب عقابه للطفه بعباده.

وإذا ما لاحظنا الكلمات التي استعملت في هذه الأدعية المتقدمة لدى الحاجة والطلب فإنّ أغلبها تدل على نعومة الكلمة، وخشوع المفردات المستعملة، فكلمة الملاذ والمعاذ والملجأ، والخير والرحمة واللطف وغيرها من الكلمات... لَكَلِماتٌ رقيقة وخاشعة ترتاح إليها النفوس ولا تقشعر منها الجلود، وتتمتع بسماعها الآذان فإنّ وقعها لخفيف وأثرها لفعّال.

نَعَمْ تُقابلها كلمات أخرىٰ استعملت في مقامٍ ألَمَّ بالإنسان أو

(١) وهذا بعيد كل البعد عن الشعر الذي أراد أهل الجاهلية نسبة القرآن إليه، وقد تحدث سماحة المؤلف عن هذا الجانب في المدخل إلى الشعر الحسيني من دائرة المعارف الحسينية فليراجع ـ المعد.

Digitized by Google

سَيَلُمُّ به إذْ لم تشمله رحمة الله الواسعة: كالمصيبة والوحشة والعذاب والفزع وغيرها فإنها كلمات قاسية تشمئز منها القلوب وتنفر منها الآذان وتستثقلها الألْسن[1].

نعم إنّ هذه الأدعية هي تلو القرآن، لأنّ أكثر معانيها أخذ منه ومن الأحاديث القدسية التي أوحى الله بها إلى أنبيائه، لذلك نرىٰ أنّ البعض سماها بالصحيفة[2] إشارة إلى الصحف التي نزلت على الأنبياء، كما في الآيات القرآنية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[3]، وأطلق عليها البعض اسم زبور آل محمد[4] مستلهماً من قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[5]، كما عبّر بعضهم عنها بإنجيل أهل البيت عليهم السلام[6] لما فيها مِن الهدى والنور كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[7]، وربما سموها بتوراة آل البيت عليهم السلام أيضاً، وما ذلك إلا لأن هذه

---

(١) راجع حول استعمال الحروف أو الكلمات المناسبة مع المعنىٰ والمقام مقدمتنا في الأدب من هذه الموسوعة.

(٢) والتي منها الصحيفة العلوية، والصحيفة الحسينية، والصحيفة السجادية، والصحيفة المهدية، إلى غيرها.

(٣) سورة الأعلىٰ، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

(٤) في معالم العلماء لابن شهرآشوب: ١٢ عبر عن أدعية السجاد عليه السلام بزبور آل محمد.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٦) حيث عبر السيد الداماد عن الصحيفة السجادية بإنجيل أهل البيت وذلك في تعليقته على الصحيفة: ٤، وكذلك في تعليقة الفيض الكاشاني عليها: ٢٤٩، راجع هامش الإمام زين العابدين عليه السلام للمقرم: ٧٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

Digitized by Google

الأدعية هي في الواقع مضامين ما أوحاه الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، وهؤلاء القادة لا يفرغون إلاّ عن لسان الله عز وجل، حيث قال الله سبحانه عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وبحديث المنزلة[2] وآية المباهلة[3] يثبت كون آل الرسول عليهم السلام هم امتدادٌ له ﷺ.

ولأن هذه الأدعية المأثورة تحمل مضامين[4] الوحي[5] فلذلك عبروا عنها بأسماء الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء التي ذكر القرآن منها: الإنجيل والتوراة والزّبور والصحف، وقد جرت هذه الأدعية مجرى القرآن المجيد في الإيعاز إلى جمل من أصول الطاعة والنظم الإصلاحية، وإبداع التكوين، وأحكام الفلك، فكما أن الذكر الحكيم يسوق العبارة في التوحيد تارة،

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٢) يقول الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ» فضائل الخمسة: ١/ ٣٤٧. ويقول: ما من نبي إلا وله نظير من أمّته وفي أمتي عليٌ نظيري «علي في الأحاديث النبوية: ٨٧، عن الرياض النضرة: ٢/ ١٦٤».

(٣) قال الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران، الآية: ٦١ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

(٤) وهناك أدعية بأكملها وردت من السماء أوحاها الله إلى أنبيائه وعلمها خاتم رسله يراجع بشأنه كتاب مهج الدعوات، والأحاديث القدسية، الواردة في هذا الشأن.

(٥) جاء في كتاب الإمام زين العابدين للمقرم: ٩٥ عن مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٢/ ٢٤١ بالنسبة إلى الصحيفة السجادية: «إن بعض العلماء بالبصرة ذكرت عنده الصحيفة الكاملة فقال: خذوا عني حتى أملي عليكم مثلها فأخذ القلم وأطرق برأسه فما رفعه حتىٰ مات».

Digitized by Google

وفي المعارف الإلٰهية أُخرىٰ، وفي القصص ثالثة، وفي العبر والعظات رابعة، وفي فطرة الكون خامسة، وفي تضاعيف هذا النسيج الإلهي يأتي على وجوه الطاعة كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والحدود والمعاملات فيرشد المكلفين إلى أنحاء الزلفىٰ لديه بأوامره العامة دون بيان لتفاصيل[1] ما اعتبر فيها من أجزاء وشرائط وموانع[2].

فكذلك جاءت هذه الأدعية لتندب الأمة إلى ما شرّعه المهيمن تعالىٰ في قانون الإسلام، فدعت الأمة إلى الصلاة وحثتها علىٰ الزكاة والجهاد وإلىٰ غيرها مِن معالم الدين والانصياع إلى الخالق المتعال[3].

---

(١) راجع كتاب الإمام زين العابدين للمقرم: ٧٥.

(٢) يذكر الدكتور محمود البستاني في كتابه دراسات فنية في التعبير الفني: ١٩٤ «النص القرآني الكريم يخاطب المتلقي بقدر وعيه وإمكان استجابته وتقلل عمليات الكشف من ثم متسمة بالإمكان، والكشف الذي يدعنا النص مساهمين في التعامل معه إنما يتركه النص لنا للإفادة من معطيات النص والاتعاظ بظواهره المرسومة وصياغة تركيب شخصي يتوافق وما تنشده السماء لصالح الإنسان».
وإذا ما لوحظ هذا الأمر في الدعاء نجد أنه يترك بالفعل التفاصيل إلى الداعي ليتحلق به الكشف إلىٰ سماء المعرفة ويتفاعل مع معطياته ليساهم بالنتيجة في التعامل مع نفسه ومع الآخرين.

(٣) ومن الجدير بالذكر أن القرآن والدعاء يحتويان على الكثير من العبر والمواعظ والأهم فيهما هو عملية الاختزال فإنّهما يختزلان لك عبرة من عبر التاريخ التي لو أراد بيان تفاصيلها لأخذت صفحات من الورق إلا أنهما يختزلانه بشكل يصل إلى بعض الأسطر دون أن يفقد أي شيء من معطياته، بل لعل ذلك يعطيه تركيزاً أكثر لأخذ العبر والعظة =

Digitized by Google

ومن هنا نجد أنّ المسلمين وبالأخص أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا يفارق حياتهم اليومية القرآن بالدرجة الأولىٰ، وكتب الأدعية بالدرجة الثانية، ولا يخفىٰ أنهم ألزموا أنفسهم على أن يجعلوا من جهاز المرأة في عرسها هذين الكتابين، القرآن والدعاء، وأن يدخلوا إلى بيوتهم لدى الانتقال إليها هذين الكتابين للتبرك والحفظ..

ولكن أكثر كتب الأدعية انتشاراً اليوم هو ما ألفه الشيخ عباس القمي[1] باسم كتاب مفاتيح الجنان، حيث ترجم إلى العديد من اللغات الحيّة، ونظن أنّ السبب يعزى إلى عدة أمور منها: حسن اختياره للأدعية وأسلوب سردها، ومنها أنه لم يذكر فيه إلا ما صحت نسبته إلى أهل البيت عليهم السلام، ومنها: وهو الأهم إخلاصه في العمل.

هذا ولو قارنّا من حيث التنسيق بين النص القرآني الذي يقول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾[2] وبين قول الرسول صلى الله عليه وآله المتقدم ذكره «اللهم احجبني بسترك واسترني بعزك..»

= منها، ويترك القارىء ليكمل القصة بمفرده ويتابع الموضوع في نفسه وكأنه عايش الحدث أو طالع تفاصيله، إنها بحق عملية لم يصل إليها حتى مخرجو الأفلام الحديثة الذين يهمهم هذا الاختزال في وضع الأفلام الطويلة.

(١) عباس القمي: هو ابن محمد رضا (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩ هـ) ولد في قم وتوفي في النجف، من العلماء المحدثين، له مؤلفات جمّة، منها: الكنىٰ والألقاب، سفينة البحار، الأنوار البهية.

(٢) سورة العلق، الآيتان: ١ ـ ٢.

Digitized by Google

لوجدناهما متطابقين من حيث التنسيق اللفظي حيث يبدأ المقطوعة الثانية بالذي ختم به المقطوعة الأولىٰ وهكذا.

وأما من حيث المضمون فيقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[1]، ويقول الرسول ﷺ فيما تقدم من الأدعية: «اللّهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي، وَمِنْ شرّ كل سلطان شديدٍ، وَمِنْ شر كل شيطان مريد، وَمِنْ شرّ كل جبّار عنيد..».

فالتنسيق المعنوي بينهما ملحوظ، ومن هنا فإن القرآن والدعاء صيغة واحدة، خرجا من مصدر واحد، يختلفان في نسبة القوة والمباشرة.

(١) سورة الفلق، الآيات: ١ ـ ٤.

Digitized by Google

مع الدعاء في بعض معانيه

للدعاء معان متعددة منها العبادة والعَذاب والتمني وغيرها، إلاّ أن المقصود منه هنا غير هذه، بل المقصود هو الطلب، والذي يتم بثلاث قنوات:

الاستغاثة، رجاء الخير، طلب الشر.

ومادة الدعاء متعدية إلا أنّها تتعدى أيضاً بحروف الجر ليضاف إلى معانيها معانٍ أخرى فرعية، فلو استخدم مجرداً من حروف الجر فإنه يعني ـ في مجال الطلب ـ الاستغاثة وهو المعنىٰ الأساس للدعاء وهو المطلوب، وإن استخدم معه حرف اللام (دعا له) كان بمعنىٰ رجاء الخير له، وإن استخدم معه حرف على (دعا عليه) كان بمعنىٰ طلب الشر له.

فالأول كما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾[1].

والثاني كما في الحديث: «إن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب»[2].

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٨٣.

Digitized by Google

والثالث كما في الحديث أيضاً: «لا تدعوا على أنفسكم»[1].

ومن هذا المنطلق جاء تقسيم الأدعية في هذا الباب على الشكل التالي: الفصل الأول: في الأدعية العامة التي أخذت منحى الاستغاثة، والفصل الثاني الأدعية التي دعا الإمام عليه السلام لطلب الخير لبعض الشخصيات، والفصل الثالث الأدعية التي دعا الإمام الحسين عليه السلام على بعض المنبوذين من هذه الأمة، وأشفعناها بالفصل الرابع والذي فيه بعض الأعمال والأذكار ذات الارتباط بالموضوع.

ومن الجدير بالذكر: أن هناك كلمات خُصَّت بالدعاء منها على سبيل المثال:

تبت، والعن	في الدعاء عليه
هب لي	في الدعاء له

كما أن هناك كلمات أخرىٰ ترافق كلمات الدعاء مثل: اللهم، أسألك، ربِّ، ربّنا، وأمثالها.

ومما يجدر ذكره هنا أيضاً: أن القرآن الكريم يتضمن جملة من الأدعية في الاتجاهات المختلفة[2]، وفي تدبر هذه الآيات ـ كما أمرنا بذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[3] ـ

(١) عدة الداعي: ١٥٤، والحديث للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

(٢) كما سبق وقلنا إن هناك دعوة عامة، ودعوة خاصة، والدعوة على الأعداء.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢، وسورة محمد، الآية: ٢٤.

Digitized by Google

يكتسب المتدبر الكثير من المعاني السامية والتي منها تعليم أسلوب الدعاء، ونكتفي بنقل هذه الآيات في جدول بياني علّه يكون مفيداً[1]، رغم أننا سبق وأشرنا إلى بعضها:

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
١	اهدنا الصراط المستقيم	الفاتحة	٦	دعاء عام
٢	فلعنة الله على الكافرين	البقرة	٨٩	دعاء عليه
٣	رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر	البقرة	١٢٦	دعاء عام
٤	ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم	البقرة	١٢٧	دعاء عام
٥	ربنا واجعلنا مسلمينْ لك ومن ذريتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم	البقرة	١٢٨	دعاء عام
٦	ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم	البقرة	١٢٩	دعاء عام

(١) لعل الله يقوض من يخصص مصنفاً بذلك يبحث فيه أدب الدعاء في القرآن ويستعرض جميع الآيات التي شملت الدعاء والدعاء عليه والدعاء له.

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٧	ربنا آتنا في الدنيا	البقرة	٢٠٠	غير ممدوح
٨	ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار	البقرة	٢٠١	دعاء عام
٩	ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين	البقرة	٢٥٠	دعاء عام
١٠	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنّا واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين	البقرة	٢٨٦	دعاء عام
١١	ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب	آل عمران	٨	دعاء عام
١٢	ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار	آل عمران	١٦	دعاء عام
١٣	رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل منّي إنك أنت السميع العليم	آل عمران	٣٥	دعاء عام

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
١٤	رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء	آل عمران	٣٨	دعاء عام
١٥	ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين	آل عمران	٥٣	دعاء عام
١٦	ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين	آل عمران	١٤٧	دعاء عام
١٧	ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار	آل عمران	١٩١	دعاء عام
١٨	ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم، فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار	آل عمران	١٩٣	دعاء عام
١٩	ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد	آل عمران	١٩٤	دعاء عام
٢٠	ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليّاً واجعل لنا من لدنك نصيراً	النساء	٧٥	دعاء عام

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٢١	رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين	المائدة	٢٥	دعاء عليه
٢٢	ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين	الأعراف	٢٣	دعاء عام
٢٣	ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضِعفاً من النار	الأعراف	٣٨	دعاء عليه
٢٤	أن لعنة الله على الظالمين	الأعراف	٤٤	دعاء عليه
٢٥	ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين	الأعراف	٨٩	دعاء عام
٢٦	رب اغفر لي ولأخي وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين	الأعراف	١٥١	دعاء له
٢٧	فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين	الأعراف	١٥٥	دعاء عام
٢٨	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك	الأعراف	١٥٦	دعاء عام
٢٩	ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم	يونس	٨٨	دعاء عليه
٣٠	ألا لعنة الله على الظالمين	هود	١٨	دعاء عليه

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٣١	رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين	هود	٤٥	دعاء له
٣٢	رب، السجن أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عنّي كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين	يوسف	٣٣	دعاء له
٣٣	رب قد أتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين	يوسف	١٠١	دعاء له
٣٤	رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام	إبراهيم	٣٥	دعاء عام
٣٥	ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون	إبراهيم	٣٧	دعاء له
٣٦	رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبّل دعاء	إبراهيم	٤٠	دعاء له

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٣٧	ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب	إبراهيم	٤١	دعاء عام
٣٨	إن عليك اللعنة إلى يوم الدين	الحجر	٣٥	يمكن أن يكون صيغة للدعاء عليه
٣٩	رب فانظرني إلى يوم يبعثون	الحجر	٣٦	دعاء له
٤٠	وليتبروا ما علوا تتبيراً	الإسراء	٧	دعاء عليه
٤١	رب ارحمهما كما ربياني صغيراً	الإسراء	٢٤	دعاء عام
٤٢	فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً	مريم	٥ ـ ٦	دعاء عام
٤٣	رب اجعل لي آية	مريم	١٠	دعاء له
٤٤	رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً	طه	٢٥ ـ ٣٥	دعاء عام
٤٥	وقل رب زدني علماً	طه	١١٤	دعاء عام

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٤٦	أنّي مسني الضُّر وأنت أرحم الراحمين	الأنبياء	٨٣	دعاء عام
٤٧	أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين	الأنبياء	٨٧	دعاء عام
٤٨	رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين	الأنبياء	٨٩	دعاء عام
٤٩	رب احكم بالحق وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون	الأنبياء	١١٢	دعاء عام
٥٠	رب انزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين	المؤمنون	٢٩	دعاء عام
٥١	رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون	المؤمنون	٩٧ - ٩٨	دعاء عام
٥٢	ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين	المؤمنون	١٠٩	دعاء عام
٥٣	أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين	النور	٧	دعاء عليه
٥٤	ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً	الفرقان	٦٥	دعاء عام
٥٥	ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً	الفرقان	٧٤	دعاء عام

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٥٦	رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين، ولا تحزني يوم يبعثون	الشعراء	٨٣ ـ ٨٧	دعاء عام
٥٧	رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحتمك في عبادك الصالحين	النمل	١٩	دعاء عام
٥٨	ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون	السجدة	١٢	دعاء عام
٥٩	ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً	الأحزاب	٦٨	دعاء عليه
٦٠	إن عليك لعنتي إلى يوم الدين	ص	٧٨	دعاء عليه
٦١	رب فانظرني إلى يوم يبعثون	ص	٧٩	دعاء له
٦٢	ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم	غافر	٧	دعاء عام

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٦٣	ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم	غافر	٨ ـ ٩	دعاء عام
٦٤	ربنا اكشف عنّا العذاب إنا مؤمنون	الدخان	١٢	دعاء عام
٦٥	رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين	الأحقاف	١٥	دعاء عام
٦٦	أني مغلوب فانتصر	القمر	١٠	دعاء عام
٦٧	ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم	الحشر	١٠	دعاء عام

Digitized by Google

التسلسل	نص الآية المتضمنة للدعاء	اسم السورة	رقم الآية	ملاحظات
٦٨	ربنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم	الممتحنة	٤ ـ ٥	دعاء عام
٦٩	ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير	التحريم	٨	دعاء عام
٧٠	رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله، ونجّني من القوم الظالمين	التحريم	١١	دعاء له
٧١	رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً	نوح	٢٦	دعاء عليه
٧٢	رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً	نوح	٢٨	دعاء له وعليه
٧٣	تبت يدا أبي لهب وتب	المسد	١	دعاء عليه

هذه مجموعة من الآيات التي يمكن أن تقع بصيغة الدعاء سواء في الاتجاه الإيجابي أو السلبي، للعام أو الخاص، وربما هناك آيات أخرى سقطت من الجدول فنعتذر عن ذلك.

Digitized by Google

بين العبادة والدعاء

بمقتضىٰ قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] فالدعاء هو نوع من أنواع العبادة، والعبادة في الإصطلاح هو المواظبة على فعل المأمور به[2]، والعبادة تتحقق بشروط ثلاثة:

١ ـ أن يكون الأمر مطلوباً من قبل الشرع.

٢ ـ أن يأتي بها العبد تنفيذاً لذلك الطلب.

٣ ـ أن يقصد الإنشاء لا الحكاية.

والدعاء هو أبرز مصاديق العبادة من جهة، وأولى العبادات الفطرية من جهة أخرى، ونعني بالأولىٰ أنها عبادة لم تسبقها عبادة أخرىٰ بمقتضى التسلسل الزمني، ونعني فطري أنه لا يحتاج إلى أن ينتظر العبد الأوامر من قبل الله لأن يلتجىء إليه، ويدعوه بحوائجه ويعرض عليه مآسيه[3]، وعليه فالأمر الوارد في الكتاب أو السنة أمر إرشادي، إذ أن العقل سبق الشرع في مشروعية طلب

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) مجمع البحرين: ٣/ ٩٥.

(٣) ورغم ذلك فإنه ألطف بالنبي آدم عليه السلام حيث علمه طريق الإنابة والتوبة وعلّمه الأسماء التي يدعو بها.

Digitized by Google

العبد من الخالق واستدعاء العاجز من القادر المطلق، والدعاء أيضاً هو إحدى المشتركات بين الموحدين من الديانات، بل بين البشرية جمعاء سواء من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ومن هنا يأتي فضل الدعاء على سائر العبادات، حيث يروى عن الرسول ﷺ أنه قال: «أفضل العبادة الدعاء، وإذا أذن الله لعبد في الدعاء فتح له أبواب الرحمة، إنّه لن يهلك مع الدعاء أحد»[1]، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «أفضل العبادة الدعاء»[2]، وروى سدير[3] أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: أيُّ العبادة أفضل؟ فقال عليه السلام: «ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يسأل ويطلب مما عنده»[4]، وقال الرسول ﷺ: «الدعاء مخ العبادة ولا يهلك مع الدعاء أحد»[5] وقال الصادق عليه السلام: «عليكم بالدعاء فإنّكم لا تقربون بمثله»[6].

وَمِنْ مُنطلق أنّ الدعاء عبادة فإن جميع أحكام العبادة تنطبق عليه، منها وجوب القَصد فبدونه لا تتم العبادة. فلو أنك أقمت كلما يقيمه المصلي دون قصد لا يعد صلاة، ولكنك إذا وضعت

---

(١) عدة الداعي: ٣٥.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٦٦.

(٣) سدير: هو ابن حكيم بن صهيب الصيرفي، كان من أصحاب الأئمة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، ولا يخفىٰ أن الأول توفي عام ٩٥ هـ والأخير توفي عام ١٤٨ هـ وذكروا أنه كان من خواص الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) الكافي: ٢/ ٤٦٦.

(٥) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٠٠.

(٦) الكافي: ٢/ ٤٦٧.

Digitized by Google

شيئاً متنجساً في ماء جاري مثلاً فإنه يطهر حتىٰ مع عدم القصد، حيث أن تطهير الشيء ليس عبادة بحد ذاته.

ومن تلك الأحكام نيّة القربة إلى الله فلو دخل الرياء أو أمر آخر بطل الدعاء كما تبطل الصلاة والصوم والحج، فلو أنك صليت لأجل الناس أو صمت لأجل صحتك فلا تقبل منك تلك الصلاة وهذا الصوم.

ومنها الالتزام بما ورد في الشرع فلو أنك تخطيت الشروط في الحج مثلاً وزدت من أركانه أو نقصت فلا يصح حجك، ولم يكن مجزياً، فكذلك الدعاء حيث لا بد من أن يتم بالشكل الذي أُمرنا به فله شروط وواجبات ومبطلات وله أركان سبق وبحثناها، فلو لم نأخذها بعين الاعتبار لخرجت من دائرة الاعتبار.

وبما أن العبادات توقيفية فلا بد من أخذ وجهة نظر الشرع فيها ومنها الدعاء، وما دام الدعاء عبادة فإن التقسيمات العبادية تنطبق عليه وهي الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة بغض النظر عن الإباحة التي هي مورد خلاف بين الفقهاء في مثل العبادات، والدعاء هو الآخر يتلون بهذه الأحكام من جهة، ذاته وقد يكون من جهة العوامل، وآخر من جهة متعلقاته، فلو أن متعلق الدعاء كان حراماً كان الدعاء للحصول عليه حراماً، وكذا الحال في المستحب أو غيره.

Digitized by Google

Digitized by Google

الدعاء على الأعداء

ولا يخفىٰ أن هذا الباب[1] يشمل الأدعية التي دعا بها الإمام عليه السلام علىٰ عدد من الذين انسلخوا عن حقيقتهم الأولية وتقمصوا حقيقة ثانية، أصبَحَتْ علّة على المجتمع، وعاهة فكرية، تحمل في طياتها روح الانحراف، مما لا بد معه من تطهير المجتمعات منهم، تماماً كما يُفعل بالجراثيم التي تقتحم الجسم البشري لأجل القضاء عليه جسدياً، فأما الجراثيم الفكرية فلا بد من استعمال مضادات حيوية مناسبة لها لأجل القضاء عليها قبل أن تفتك بالفكر البشري.

وهذه المجموعة الشاذة قد تدرجت في طغيانها بحيث أصبحت تتأثر بها مجموعتان ساذجة وذات مصالح من الناس، مما كان لا بد من قمع جذورها بشكل غير مألوف، لتكون عبرة

(١) بما أن هذه مقدمة تمهيدية للصحيفة الحسينية الكاملة والتي هي باب من أبواب دائرة المعارف الحسينية، فلذلك يشير إليها سماحة المؤلف بأداة الإشارة «هذا». وبما أن طرح مثل هذا الموضوع أي الدعاء على الأعداء يتكرر في كثير من الأدعية، ومن المفيد إطلاع القارىء عليه، فلذلك لم نقم بإلغائه لوجود القاسم المشترك بين أدعية الإمام الحسين عليه السلام وعامة الأدعية الأخرى، كما لم نسع إلى تبديل أدوات الإشارة والضمائر حتى لا نتصرف في النّص فلذلك تركناها كما هي وأشرنا إلى ذلك ـ المعد.

Digitized by Google

للآخرين، وإلا لما استقام أمر هذه الأمة الفتية.

وفي صعيد كربلاء بالذات تلاطمت أمواج بشرية، وكان فيها عدد كبير من السذج الذين التفوا حول زمرة مسخت عن واقعها، وتحولت إلى مجرد صورة إنسانية أخفت في طياتها أوبئة فتّاكة، أرادت أن تستغل مثل هذا الموقف لتتباهىٰ بمواقفها المذلة، وأفكارها الهدامة. أمام الجماهير، وتقف متجرئة أمام ابن بنت نبيها ومنقذها، وتخاطبه بتلك الكلمات البذيئة أو تعامله تلك المعاملة المشينة، وهذا التحدي لا بد وأن يُردّ بتحدٍّ يناسب القائم بها، فالإمام باعتباره المدافع الأول عن الأهداف الإلهية والمتفاني فيها، فإنه كجده وأبيه سلك منحًى إلٰهياً وقام بالدعاء عليهم وقد لبىٰ الله طلبه هذا لأنه مع الحق والحق معه يدور أينما دار.

وقد نرى مثل هذا النوع من الدعاء في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء والرسل والتي منها القرآن الكريم بالإضافة إلى الأحاديث القدسية، وقد طبّقها الرسول العظيم ﷺ في حياته، ومارسها الإمام أمير المؤمين عليه السلام ونجله الحسن الزكي عليه السلام في معايشته مع المنافقين والظالمين، ولم يشذ الإمام الحسين عليه السلام عن هذا الركب الإلهي، وكُتب التاريخ والحديث والتفسير مليئة بمثل هذه الأدعية.

وكلا طرفي الدعاء سواء الذي يلحقه اللام (له) أو على (عليه) يدخل من جهة أخرى في مسألة التولي والتبري حيث عُدّا واجبين من الواجبات الإسلامية، ومن المؤكد أنّ دعاء الإمام في حق المدعو عليه نافذ كما هو الحال في حق المدعو له لأنه معصوم مُقرّب، لا يحيد عن الحق، ولا يرد دعاؤه.

Digitized by Google

ملاحظات في دعاء المعصوم

من الملاحظ أن الداعي في هذه الأدعية التي أوردناها في هذه الصحيفة يعترف بالذنب أو القصور أو عدم المعرفة بحقوق الله أو التهاون بها، أو ما إلى ذلك من أمور لا تناسب مقام الإمامة والعصمة، وهذا الأمر يشاهد في جميع الأدعية الواردة عن الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فيا ترىٰ أهُم كسائر الخلق؟ يعصون الله ويقترفون الذنوب ولا يعرفون الله حق معرفته! مما يتساءل البعض عن ذلك ويراه غريباً لأول وهلة، ولكن إذا أمعن النظر لتوصل إلى ما يلي:

١ ـ إنّ الدعاء الصادر عنهم بمنزلة وثيقة تعليمية ومنهاج تربوي يحث الإنسان على الاعتراف بالذنب أمام خالقه صاحب القدرة المطلقة.

٢ ـ إنّ الدُعاء إنما ينشأ على صعيد ماهية الإنسان والغرائز المودعة فيه بغض النظر عن خروج بعض الموارد أو وجود بعض المستثنيات.

٣ ـ إنّ الإنسان العظيم ينزّل نفسهُ منزلة الإنسان المذنب أمام ربّه المنعم الذي لم يمنع عنه شيئاً يفيده، ولم يدخر أمراً لإسعاده، فلا بد أن لا يدخر شيئاً للتواضع أمامه.

Digitized by Google

٤ ـ إن لكل شيء درجات فالجهل والمعرفة وكذلك العصيان والطاعة يخضعان لهذه النسبة وقد يكون التفاوت بين المصاديق كبيراً ومتباعداً إلى الحد الذي لا يتصور كالوجود والعدم لشدة التباعد، ومع هذا فلا ينعدم التفاوت، فيبقىٰ الله ربّاً والمخلوق عبداً، ونحن نكرر دوماً شهادة عبودية محمدﷺ لله جل جلاله قبيل أن نشهد بأنّه رسول من قبله جل شأنه، فنقول: «أشهد أن محمد عبده ورسوله».

٥ ـ أدب الحوار وأدب الدعاء يقتضيان ذلك، وهذا من عظمة العظيم ورفعة الرفيع، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1] أفي الله شك أم في من يعاديه شك، فهو على يقين من حاله وحال الآخر، فمن عظمة الله أن يجاري الطرف الآخر بهذا الأسلوب الرفيع[2].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٢) قد يلاحظ القارىء أن المقدمة التمهيدية في أصل الكتاب كانت تحتوي على فصل تحت عنوان «السابقون في هذا المضمار» والذي كان موقعه بعد هذا المقطع، إلا أنه كان يخص الصحيفة الحسينية، فلذلك أعرضنا عنه حتى ينحو الكتاب منحاً عاماً يرتبط بالدعاء بشكل مطلق ـ المعد.

Digitized by Google

كلمة المشيئة[1]

دأب القدامى على كتابتها متصلة بينما رسمها المحدثون منفصلة، ولا بد من إعطاء الفكرة من وراء كل واحد من الاختيارين لتتضح الصورة للقارىء ويختار ما يشاء ويطلع على ما اخترناه[2].

لا شك أنّ كلمة المشيئة «إن شاء الله» في الأصل مركبة من كلمات ثلاث: حرف وفعل واسم «إن + شاء + الله»، فكلمة إن لا خلاف في أنها حرف، وإنما الخلاف في ماهيتها: هل هي شرطية أو زمانية أو بيانية أو تحقيقية، فمن قال: إنها شرطية جعلها كقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، حيث برر دخول

(١) لقد أورد سماحة المؤلف في آخر مقدمته التمهيدية بعض الأمور ذات الصلة بالكتابة عامة وبالصحيفة خاصة، احتفظنا بما هو عام منها، وكان منها العناوين التالية: «كلمة المشيئة» و «الرسم القرآني» و «أخطاء النقل» و «قلب الهمزة ياءً»، لما لهذه من الأهمية في الإملاء، ولم يوردها سماحته عن فراغ، بل جاءت بعد أن جرى النقاش عليها من خلال ما ورد عليه من بعض القراء ـ المعد.

(٢) لقد عرض عليه بعض الأدباء هذه المسألة فاستعرضها هنا حيث المكان الأنسب لاستخدامها في نصوص الدعاء عبر الخطاطين ـ المعد.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩١، وغيرها حين وردت مكررة في القرآن، وما ذكرناه فهو أول الآيات.

Digitized by Google

إن الشرطية على الفعل الماضي بالتفسير التالي: إن الحديث عن المستقبل بصيغة الماضي، وقال: إن المعنىٰ في مثل هذه الآية هو: ان العمل منوط بتحقق المشيئة الإلهية.

وأما من ذهب إلى أنها زمانية فقال: بأنها جاءت بمعنى إذ، وجعل منه قول الرسول ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1] أي حين يشاء الله.

وأما مَنْ اختار أنها بيانية فجعلها كما في قول الشاعر من الطويل:

أتَغضبُ إنْ أُذْنا قُتَيْبَة حُزّتا
جَهاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لقَتلِ ابنِ حازِم

والمعنىٰ أتغضب أن تبين في المستقبل أن أُذني قُتيبة حزّتا فيما مضىٰ...

وأما مَنْ جعلها للتحقيق فذَكر بأنها تأتي بمعنىٰ قد كما في قوله تعالى: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[2] أي قد نفعت.

والظاهر أن كلمة المشيئة لها أكثر من استعمال فإنْ أريد بها التعليق على مشيئة الله فلا بد أن تكون بمعنىٰ إذا، ولكن درج استعمالها كلفظ للدعاء بمعنى الطلب من الله في أن تتعلق مشيئته بهذا العمل ويقدرني على العمل به، وقد أَدَّبنا الله تبارك وتعالى بأن نقولها عندما يتعلق الأمر بالمستقبل ونطلب منه ذلك، كما

(١) مغني اللبيب: ٢٦/١، وقد وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً مثل قول الصادق عليه السلام، راجع بحار الأنوار: ٢٩٨/٩٩.
(٢) سورة الأعلى، الآية: ٩.

Digitized by Google

نقول كلمة الحمد «الحمد لله» عما تحقق.

وأما كلمة «شاء» فهي فعل ماضٍ أريد منه المستقبل.

وأما بالنسبة إلى رسم كلمة المشيئة فالذي تُمْليه القواعد علينا فيما إذا أريد بها التعليق على مشيئة الله تكتب «إن» منفصلة عن «شاء» كما هو الحال في حرف الشرط، وأما إذا ما أريد بها الدعاء فيجوز أن تكتب منفصلة نظراً لأصلها وهو الشرط كما يشير إلى ذلك ابن هشام[1] بقوله: «بأن أصل ذلك الشرط ثم صار يذكر للتبرك» وأضاف قائلاً: «وفي مثل ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[2] إنه من كلام الرسول ﷺ لأصحابه حين أخبرهم بالمقام فحكي ذلك لنا، أي لتدخلن جميعاً إن شاء الله أن لا يموت منكم أحد قبل الدخول»[3]، ويجوز أن تكتب متصلة للتمييز بينها وبين تلك، وهذا ليس بغريب في اللغة حيث أن التركيب وارد في الأعلام وغيرها سواء في الدخيلة أو في غيرها، كما في بعلبك وحضرموت وجلنار إلى غيرها من أسماء المدن والذوات، وهذا لا يرتبط بالخلاف القائم بين النحويين حول بناء الكلمة المركبة أو إعرابها في كونها ركّبت تركيباً مزجياً أو غير مزجي، بل إنهم في باب النسب أيضاً أجازوا «العبدلي» في عبد الله، و «العبشمي» في عبد شمس، والقول

(١) ابن هشام: هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ) ولد بالقاهرة، اختص بالعلوم العربية حتىٰ أصبح بها إماماً، له مؤلفات جليلة منها: أوضح المسالك، الجامع الصغير، وشذور الذهب.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٣) راجع مغني اللبيب: ١/٢٦.

Digitized by Google

بإمكان اختصاصها بما يوجب اللبس في النسبة إلى كل واحد من جزئي المركب كما في النسبة إلى عبد القيس فلا يقال العبدي ولا القيسي للبس بغيرهما بل يقال العبقسي[1]، أو القول باختصاصها بالأسماء لا دليل عليه أيضاً.

وإذا ما نظرنا إلى كلمة الدعاء في النداء باسم الجلالة: «يا الله» والتي قلبت إلى «اللهم» على رأي بعضهم، وذلك بتعويض الميم عن حرف النداء، فنلاحظ أن هذا يقرب لنا فكرة أن رسم الكلمة العربية ليس توقيفياً جامداً نزل من السماء، حيث نجد فيها مساحة من الحرية التي تركها القدامىٰ مفتوحة في أطر القواعد، بل تعاملوا معها واختلفوا فيها، والقول بأنّ القواعد العربية حِكْرٌ على فئة أو زمان مردود لمن يلاحظ كتب النحو والصرف.

وأما بالنسبة إلى ما نحن فيه فإنّ القدامى دأبوا على رسم كلمة المشيئة في استخدامها الدعائي مركبة «إن شاء الله»، وعليه فنحن لا نرفضه كما لا نُصِرُّ على ذلك، فللكاتب الخيار في ذلك ولا يحق له نسبة الخطأ إلى المدرسة الثانية لمجرد عمومية التعليم الحالي في المدارس الحديثة، حيث أن باب الاجتهاد في النحو لا بد وأن يبقىٰ مفتوحاً بشكله المعقول، وإن كانت هذه ليست مسألة نحوية بالدرجة الأولىٰ.

والحاصل: فإذا كانت لها مساحة من الحرية فلا بأس استخدامها في مصلحة تطوير اللغة وهو اختيار المركَّبة كرسم خاص بالدعاء وغير المركّبة في غيره.

---

(١) راجع الأنساب للسمعاني: ٤/١٤٣.

Digitized by Google

كيف تجمع الأُم

الأُم بضم الهمزة وتشديد الميم هي الوالدة، وتجمع الكلمة على أمات وأمهات، ولا خلاف في أن اللفظ المفرد منها مشترك بين ذوي العقول وغيره كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[1] وقال جل وعلا: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] وقال جل اسمه: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3].

وأما لفظ الجمع «أمهات» فقد خصصها بعض اللغويين بذوي العقول، ومن ذلك ابن بري[4] بينما خصص «أمات» بغير ذوي العقول[5]، وقد وردت لفظة «أمهات» في القرآن الكريم مستخدمة في ذوي العقول فقط كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٢.

(٤) ابن بري: هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي (٤٩٩ ـ ٥٨٢ هـ) من علماء النحو واللغة أصله من بيت المقدس إلا أنه ولد وتوفي في مصر، له مؤلفات هامة منها: التنبيه والإيضاح، غلط الضعفاء، وحواشي درة الغواص.

(٥) لسان العرب: ١/٢١٧.

Digitized by Google

نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾[1] بينما لم ترد لفظة «أمات» في القرآن بتاتاً حيث لم يتطرق إلى جماعة غير ذوي العقول، يبقىٰ أن نراجع تصريحات أهل اللغة واستخداماتهم إلى جانب استخدام الشعراء، فقد قال ابن منظور[2]: قال بعضهم: الأمهات فيمن يعقل والأمات بغير هاء فيمن لا يعقل، فالأمهات للناس والأمات للبهائم، وربما جاء بعكس ذلك، كما قال السفاح اليربوعي[3] في الأمهات لغير الآدميين ـ من السريع:

قـــوّال مَـــعْـــروفٌ وفـــعّـــالُـــه
عَـقّـار مـثـنـى أمـهـات الـرِّبـاعْ

فقد استعملها للنوق، وأما جرير[4] فقد استخدم الأمات للآدميين في قوله من الوافر:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) اشتهر بجده السابع منظور، قيل ولد بمصر وقيل بطرابلس الغرب وخدم بديوان الإنشاء بمصر وتوفي بها، كان من علماء الشافعية، وقيل إنه كان من شيعة أهل البيت عليهم السلام، اهتم باختصار عدد من المؤلفات، واشتهر بكتابه لسان العرب.

(٣) السفاح اليربوعي: هو ابن بكير بن معدان المتوفىٰ بعد عام ٧١ هـ، كان السفاح مع مصعب بن الزبير ومعه أيضاً من بني قبيلته يحيىٰ بن شداد اليربوعي فلما قتل يحيىٰ رثاه بقصيدة مشجية، وكان ابن الزبير لما علم بأنه لا محالة مقتول طلب من السفاح أن ينصرف حتىٰ لا يقتل هو أيضاً إلا أنه رفض ذلك وفاءً له فقتل هو الآخر.

(٤) جرير: هو ابن عطية بن حذيفة الخطفي (٢٨ ـ ١١٠ هـ) كان من فحول الشعراء بل شاعر عصره، ولد ومات في اليمامة، عاش حياته مساجلاً شعراء عصره، له ديوان شعر بالإضافة إلى نقائضه مع الشعراء.

Digitized by Google

لَقَد ولد الأخيطل أم سَوْءٍ مقلَّدة مِن الأُماتِ عارا

وربما جاء البيتان في استخدامهما المفردتين من باب الضرورة الشعرية، أو التسامح.

وقال الأزهري[1] في التهذيب: يجمع الأم من الآدميات أمهات ومن البهائم أمّات، وذكر من ذلك قول الشاعر من الوافر:

لَقَدْ آلَيْتُ أَغْدِرُ في جداعٍ وإن مُنِّيتُ أمّاتِ الرِّباعِ

وقال الجوهري[2]: أصل الأم أمهة ولذلك تجمع على أمهات يقال: يا أمة لا تفعلي ويا أبة افعل، يجعلون علامة التأنيث عوضاً عن ياء الإضافة وتقف عليها بالهاء[3].

وقال ابن سيدة[4]: الأمهة لغة في الأم، وقال أبو

---

(١) الأزهري: هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (٢٨٢ ـ ٣٧٠ هـ) ولد وتوفي في هراة أفغانستان، كان أحد الأئمة في اللغة والأدب، عمل في الفقه أولاً ثم في اللغة، من مؤلفاته: تهذيب اللغة، غريب الألفاظ، وتفسير القرآن.

(٢) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي المتوفىٰ عام ٣٩٣ هـ، من الأئمة المشاركين في العلوم، كان آية في العلم، وكان قد سعى للطيران وفيه كانت منيته، من مؤلفاته: كتاب العروض، الصحاح، وكتاب في النحو.

(٣) راجع لسان العرب: ١/ ٢١٧.

(٤) ابن سيّده: هو علي بن إسماعيل الأندلسي المرسي (٣٩٨ ـ ٤٥٨ هـ) من أئمة اللغة والنحو، وكان ذو اطلاع واسع في أشعار العرب وأيامهم، ولد وتوفي في الغرب الإسلامي، من مؤلفاته: المحكم والمحيط، الأنيق في شرح الغابة لأبي تمام، والوافي في علم القوافي.

Digitized by Google

بكر[1]: الهاء في أمهة أصلية وهي فعلة بمنزلة تُرَّهة وأبهة وخصص بعضهم بالأمهة من يعقل، وبالأم من لا يعقل ومن ذلك قول قصي[2] ـ من الرجز:

عَبْدٌ ينادِيهِمْ بِهالٍ وَهَبِ أُمَّهَتي خِنْدِفُ واليأسُ أبي[3]

وقال زهير[4] فيما لا يعقل ـ من الطويل:

وإلاّ فإنّا بالشَّربَّةِ فاللّوى نُعَفِّرُ أمّاتِ الرباعِ وَنَيْسِرُ[5]

والقرآن الكريم نزل بأمهات وهو أوضح دليل على أن الواحدة أمهةٌ وتأمَّهَ أمّاً أي اتخذها كأنّه على أمهةٍ، وقال ابن سيّدة: وهذا يقوي كون الهاء أصلاً لأن تأمهت تفعلت بمنزلة تفوّهت وتنبهت.

---

(١) أبو بكر: هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (٢٧١ ـ ٣٢٨هـ) ولد في الأنبار ـ العراق ـ وتوفي ببغداد، كان من أئمة الأدب واللغة، من مؤلفاته: شرح الألفات، خلق الإنسان، الأضداد.

(٢) قصي: هو زيد بن كلاب بن مرة بن كعب القريشي الجد الرابع للرسول محمدﷺ، سمي قصياً لأنه ابتعد عن مكة، حيث توفي أبوه وهو صغير فتزوجت أمه فاطمة بنت عمرو من ربيعة بنت حرام العذري فانتقل بها إلى أطراف الشام، ونشأ هناك بعيداً عن مكة، ثم رجع وساد قريشاً وهدم الكعبة وعمّرها من جديد.

(٣) في نسخة: «عند تناديهم» راجع لسان العرب: ١/٢١٧.

(٤) زهير: هو ابن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني المضري المتوفىٰ عام ١٣ق.هـ، شاعر جاهلي، ويعد من الشعراء الحكماء، عرف بحولياته، ولد في بلاد نجد، وهو من أصحاب المعلقات.

(٥) راجع بشأن الأشعار لسان العرب: ١/٢٢٨.

Digitized by Google

وجاء في التهذيب: والأم في كلام العرب أصل كل شيء واشتقاقه من الأم، وزيدت الهاء في الأمهات لتكون فرقاً بين بنات آدم وسائر إناث الحيوان، وهذا القول أصح القولين.

وقال الأزهري: وأما الأم فقد قال بعضهم الأصل أمّةٌ وربما قالوا أمّهةٌ، والأمهة أصل قولهم أمٌّ[1].

ومما قدمناه يظهر أفضلية استخدام كلمة «أمهات» في ذوي العقول، وكلمة «أمات» لمن لا يعقل وذلك تميزاً وتخصصاً وهما محبذان، وبما أنه لا ينافي اللغة فمن الأفضل الالتزام به[2].

(١) لسان العرب: ١/٢٢٨.

(٢) وبالمناسبة فإن أحدّ الكتاب اتصل بي، واستنكر استخدام مفردة «امات» في غير ذوي العقول، فسألته عن السبب، فأجابني بأنه من مخترعات النظام العراقي الحاكم، لأنه وجدها مستخدمة في أدبيات بعض من ينتسبون إلى هذا النظام البغيض، مستنداً إلى أنه لم ير من استخدمها.

Digitized by Google

Digitized by Google

الرسم القرآني

قد يتصور البعض أن الرسم القرآني كالنص القرآني واجب الاتباع، ولا يجوز تخطيه، غفلة أو جهلاً، بأن هذا الرسم لم ينزل من السماء، وإنما هو رسم من رسوم الخط العربي المتأخرة عن زمان نزول القرآن، وقد كتب القرآن بخطوط مختلفة الحيري والكوفي والحجازي والبصري والمغربي إلى غيرها[1]، وجرىٰ عليها الكثير من التعديل من التنقيط والحركات والعلامات، وقد فصلنا ذلك في مقدمة باب الحسين في القرآن فلا نكرر، ولكن المقصود به هنا التذكير، ومن الغريب أن أحدهم ناقش الآخر في كلمة «نرجو» حيث كتبها مع الألف «نرجوا» فاعترض عليه الآخر بأن الألف زائدة لأن الألف إنما يأتي مع واو الجماعة للدلالة على حذف نون الجماعة، فرد عليه بأنّ الألف مصاحبة للواو واستشهد بالرسم القرآني، وتحاكما عندنا، فكان جوابنا لهما بأنّ الرسم القرآني أحد الرسوم وليس ملزماً وإلا لكان اللازم الالتزام بكل ما ورد فيه من الرسم، فأجاب بأن هذا الرسم هو المقبول من قبل الأئمة المعصومين عليهم السلام، باعتباره كان في عهدهم ولم يعترضوا عليه،

(١) راجع المقدمة التمهيدية لمعجم المصنفات من هذه الموسوعة.

Digitized by Google

وأراد أن يثبته بالقواعد الأصولية ونسي أموراً، وقلنا له فيما قلناه بأنه استخدمت في عهد المعصومين عليهم السلام رسوم متعددة، فلا يمكن إثبات المدعىٰ، وعلى فرض صحة استدلالك فإنه يوصلنا إلى حرية الاختيار من بين تلك لا الالتزام بواحدة، والتاريخ القرآني وتاريخ الخط يشهدان بأنّ الالتزام بكتابة القرآن بهذا الرسم إنما جاء متأخراً أولاً، وبأنّ الالتزام جاء فقط في كتابه القرآن في الإطار القرآني ثانياً، وذلك حتىٰ يجنبوا القرآن من التلاعب[1].

وهناك آراء مختلفة في مسألة رسم الكتابة والحروف العربية وأنا ممن يفضل الوضوح سهولة لقراءة النصوص، والتفضيل لا يعني وجوب الالتزام، كما لا ننكر أن للجمالية دوراً في هذه المسائل أيضاً، ولكن لا ننسىٰ أنه قد تكون العادة هي خلفية الجمالية، والتي قد لا يشعر المرء بصعوبتها وإن كانت صعبة لأنه مألوف، وإنما المناط الجيل الجديد دائماً، فهو عندما يريد تعلّم الكتابة أو أن المتعلم غير العربي عندما يريد تعلّم العربية فإنه يمكن أن يكون حجر المحك في هذا الموضوع.

وعلى أيّ حال فمن الأفضل أيضاً أن نتدرج شيئاً فشيئاً لاستعمال ما هو الأوضح، والالتزام بالرسم الأوضح فيما يستخدم الرسمان، ثم العمل على تغيير ما اعتادوا على استخدام ما لا يحمل الوضوح كما في «هذا» مثلاً إذ أن حذف الألف لا

(١) وفي الحقيقة أن النقاش بعدما دار بين الطرفين أحيل إلى سماحة المؤلف ليحكم بينهما، وهو ما بيّنه هنا ـ المعد.

Digitized by Google

معنىٰ له، والأفضل أن نتدرج على كتابته هكذا «هاذا».

وفي الحقيقة لا بد من الأخذ بجوهر القاعدة التي سنّها أهل الفن من علم الصرف والاشتقاق وعلم الحروف وأرباب الخط، وهي: أن للحرف دلالاتٍ إذ لا يقبل وجود الزائد دون دلالة ولا حذف الشيء إلا بدليل أو لدلالة ما، وهذا يعني أنه لا بد أن توضع رسم الكلمات بل الحروف ضمن قاعدة متينة بعيدة عن الغموض لا تقبل الخروقات، ومن أبشع القواعد تلك التي تكثر فيها الاستثناءات، وربما كان مواد الاستثناء أكثر من المستثنىٰ منه.

والقول بأنّ الابتعاد عن الرسم القرآني يوجب عدم إمكان قراءة النص القرآني مرفوض بأنّ الالتزام بهذا الرسم هو الذي أوجب ابتعاد أبنائنا من القرآن، وقراءة نصوصه لصعوبته، ومع هذا فلا نصرّ بل نفضّل، ولعلنا هنا في باب الدعاء[1] نستخدم الرسم القرآني لا لشيء إلا لكونه من الآثار الإسلامية وقرب الدعاء من القرآن فله إيحاءاته وخصوصياته.

(١) وبالطبع في نص الدعاء فقط وليس في الشرح، وإذا وجدت بعض الخروقات فهو من أرباب التنضيد والذين نعاني منهم الكثير.

Digitized by Google

Digitized by Google

قلب الهمزة ياءً

كثيراً ما تستخدم الياء في الأدعية كبديل عن الهمزة، وقد رصدنا مواقع منها للبحث حتىٰ لا ينسب أمرها إلى اللحن، ومن تلك المواقع:

١ ـ في اسم الفاعل من الفعل الأجوف[١] الثلاثي المجرد[٢]، فعلى سبيل المثال: تقول خايف وبايع في خائف وبائع، ولمعرفة ذلك لا بد من بيان أسباب ذلك: إن حرف العلة «الواو، والياء» يقلبان إلى الهمزة في صيغة الفاعل لأن الهمزة أخف من الواو والياء، فاسم الفاعل من خاف وباع هو بالأساس خاوف وبايع، فقد ذهب بعض أهل الصرف والاشتقاق إلى أن الهمزة أخف من حرف العلة فقلبت الواو والياء إلى الهمزة، فأصبحا خائف وبائع، وذكروا في سبب خفة الهمزة وقوعه بعد

(١) الأجوف: هي الكلمة المفرغ وسطها من الحرف الصحيح، وبتعبير آخر هي الكلمة الثلاثية الأحرف وسطه حرف علة واواً كانت أو ياءً مثل: قول، وبيع.

(٢) المجرد: هي الكلمة التي لم يدخلها حرف زائد على أصله كما في ضرب وأكل خلافاً لـ أكرم، استطاع، حيث دخل على الأول همزة باب الأفعال، وعلى الثاني الهمزة والسين والتاء من باب الاستفعال إذ أصل الكلمة الأولى كرم والثانية طاع (طوع).

Digitized by Google

الألف كما هو الحال في الناقص[1] حيث تقول: كساء ورداء حيث هما أخف من «كساو، رداي».

وقيل إن الهمزة ليست بدلاً عن الواو أو الياء، بل جاءت بدلاً من الألف لأن حرف العلة يقلب ألفاً كما في صيغة الفعل الماضي حيث تقول: في خوف وبيع، خاف وباع، فلما يراد صياغة اسم الفاعل يجري فيه الإبدال كما في خوف وبيع، فيصبح اسم الفاعل منهما بألفين: ألف الفاعلية «فاعل» وألف مقلوبة من الواو أو الياء «خاف، باع» وكلاهما ساكنان[2] «خااف، وبااع» فيبدل ثانيهما ـ والذي هو جزء الكلمة ـ إلى همزة فيصبح «خائف وبائع»، وإنما لم تحذف لأجل التقاء الساكنين[3] خوفاً من الالتباس بفعل الماضي[4]، وإنما اختيرت الهمزة من بين الحروف لقربها[5] من الألف.

---

(١) الناقص: هي الكلمة التي كان الحرف الأخير منها حرف علة كما في دعا (دعو) ورمى (رمي).

(٢) الألف دائمة ساكنة، وإنما الهمزة فقط تقبل الحركة.

(٣) أي يحذف أحد الألفين الساكنين بالتقاء الساكنين.

(٤) لأنك لو حذفت الألف من «خااف ـ أو ـ بااع» لأصبح: خاف، باع، وهو يلتبس بفعل الماضي منهما، ولذلك يجوز فيما لا لُبس فيه ـ راجع شرح التصريف: ٣٩٤.

(٥) هناك رأيان في الألف والهمزة، الأول: أنهما متحدان، والثاني: أنهما متعددان، وعلى الثاني فلا شك أن مخرجهما قريبان جداً، وعلى الأول فإن أحدهما مظهر للآخر وحالة من حالات الآخر، فهما أكثر من القرب وهو الاتحاد، وقد تحدثنا عن هذا الأمر في مكان آخر من الموسوعة فلا نكرر.

Digitized by Google

عوداً على بدء فلا يخفىٰ جواز البقاء على أصلهما دون القلب فتقول في صيغة اسم الفاعل من خاف وباع: خاوف وبايع، وإن كان الإبدال هو الأفضل، ومن هنا جاء في كثير من نسخ الدعاء اسم الفاعل المعتل بالياء دون قلب أو إبدال، بل وإن شئت فقل إن قلب الهمزة ياءً جار في كليهما فتقول خايف وبايع، وذلك لتناسب الياء مع حركة الهمزة ألا وهي الكسرة فقلبت ياءً تخفيفاً، وهو جائز إلا أن القلب يبقىٰ هو الأفضل وبالأخص فيما إذا كان حرف العلة واواً.

٢ ـ في الجمع الذي يأتي على زنة مفاعل (فعائل) إن كان فيه مدّةٌ[١] مزيدة[٢] في مفرده كما في قلادة وصحيفة وعجوز تقول: قلائد وصحائف وعجائز، حيث قلبت حرف المد (الألف والياء والواو) همزة على القياس، ففي مثل هذا الحال جوزوا قلب الهمزة ياءً، وذلك تمشياً مع حركتها الكسرة تخفيفاً فتقول: قلايد وصحايف وعجايز، ولكن بالهمزة هو الأفضل.

ويلحق بهذا ما جمع على مفاعل[٣] (فعائل) مما كان في

---

(١) ولو كانت غير مدّة فلا تُبدل كما في قسورة تقول قساور، ولا يصح قسائر، حيث الواو ليست هنا حرف مد.

(٢) ولو كانت مدّة غير مزيدة فلا تبدل كما في مفازة تقول: مفاوز، ولا يصح مفائز، حيث الألف فيها حرف مدّ إلا أنها غير مزيدة، وربما جاء القلب سماعياً كما في مصيبة تقول: مصائب، فالياء ليست بحرف مدّ هنا، إلا أن العرب أبدلوها همزة، والسماعي يشمله أيضاً قلب الهمزة ياء فتقول: مصايب.

(٣) إنما قيد بمفاعل لأنه فيما إذا جاء على مفاعيل فلا تشمله القاعدة كما في طاووس تقول: طواويس، فلا يصح الإبدال ليقال: طوائيس.

Digitized by Google

مفرده حرفين من حروف اللين وقد توسطهما ألف الجمع، فيبدل ثاني اللينين همزة كما في نيِّفْ تقول: نيائف، فإن مفرده «نيف» يحتوي على ياءين أولاهما ساكن وثانيهما متحرك فتوسطهما ألف الجمع عندما أريد جمعه فأصبح نيايف فجوزوا قلب يائه الثانية همزة تخفيفاً، ولا شك أن القلب هو الأفضل.

ولا يختص بما كان أصله ياء، بل في الواو أيضاً كما في «أوّل» عندما تجمعه تقلب الواو همزة فتقول «أوائل»، وجوزوا أيضاً قلب الهمزة ياء تناسباً مع حركتها ـ الكسرة ـ تخفيفاً.

٣ ـ في الجمع على أفعلة فيما إذا كان الحرف الأول همزة كما في «أئمة» جمع «إمام» فإنّ وزن أفعلة تأتي جمعاً لثلاثة موارد[١] ثالثهما: فِعال بالكسر، فلما بُني الجمع في إمام اجتمعت همزتان: همزة بناء الجمع «أفعلة» وهمزة بناء الكلمة «إمام» فأصبحت «أئْمة» بفتح الأول وسكون الثاني، ولمّا ثقل ذلك نقل إليها حركة ما بعدها فأصبحت الهمزة مفتوحة وما بعدها ساكنة «أَئِمْمَة» فأدغم الميمان فصار «أَئِمَّة»، ويمكنك أن تجد الفارق بينه وبين ما بُني على هذا الوزن مما ليس فيه همزة في أصل الكلمة كما في كلمة «مثال» حيث يجمع على «أَمْثِلَة» فالهمزة مفتوحة والميم ساكنة، والثاء مكسورة، واللام مفتوحة، وهي على القاعدة

---

(١) أفعلة: بفتح الهمزة وكسر العين جمع لثلاث أبنية:
١ ـ لكل اسم مذكر رباعي ثالثه مدّة مثل: أسلحة في سلاح.
٢ ـ لفَعال بالفتح نحو أزمنة في زمان.
٣ ـ لفِعال بالكسر نحو أمثلة في مثال.
راجع الأوزان (الصرفية) للمؤلف: ١٦٦.

Digitized by Google

كما هو ملاحظ في «أفْعِلَة»، وفي مثل ما قدمناه في أئمة جوزوا تبديل الهمزة ياءً فقالوا: «أَيِمَّة».

ولا يخفىٰ أن الياء هي إحدى القراءات في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[1]، ولعل هذه القراءة جاءت معللة بما نقله الطوسي[2] عن أبي علي النحوي[3]: «فمن خففها أتىٰ بالهمزتين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، ومن كره ذلك قلب الثانية ياءً ولم يجعلها بين بين[4]، لأن همزة بين بين في تقدير التحقيق وذلك مكروه عندهم»[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) الطوسي: هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) ولد في طوس ـ إيران ـ ودرس في بغداد، ثم رحل إلى كربلاء ثم النجف وتوفي بها، من أعلام الإمامية المشهورين، له مؤلفات أصبحت من أمّات المصادر منها: التهذيب، والأمالي، والنهاية.

(٣) أبو علي النحوي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي الفارسي (٢٨٨ ـ ٣٧٧ هـ) أحد الأئمة في علم العربية، ولد في فسا ـ من أعمال فارس ـ وسافر إلى بغداد وحلب، وصحب سيف الدولة بحلب، وعضد الدولة بإيران، من مؤلفاته: الإيضاح، جواهر النحو، والعوامل.

(٤) بحثنا ياء بين بين مع اخواتها في المدخل إلى الشعر الأردو فليراجع.

(٥) راجع التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ١٨٢، ونقل الطوسي كلام أهل الفن في ذلك: «وقال الرماني: إنما جاز اجتماع الهمزتين في كلمة، لئلا يجتمع على الكلمة تغيير الإدغام والانقلاب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون، وهو مذهب ابن أبي إسحاق من البصريين، والباقون لا يجيزونه ـ ذكره الزجاج ـ، قال: لأنه يلزم عليه أن يقرأ «أأم» بهمزتين وذلك باطل بالاتفاق. وعلى هذا القول «هذا أأم» بهمزتين، =

Digitized by Google

ونكتفي بهذا القدر من إبدال الهمزة ياءً حيث أن هناك موارد أخرى لا مجال لذكرها هنا[1].

= قال: وإنما قلبت الهمزة في أئمة على حركتها دون حركة ما قبلها، لأن الحركة إنما نقلها إلى الهمزة لبيان زنة الكلمة، فلو ذهبت تقلبها على ما قبلها لكان مناقضاً للغرض فيها، وإذا بنيت من الإمامة هذا أفعل من هذا قلت: هذا أوم من هذا ـ في قول المازني ـ لأن أصله كان «أأم» فلم يمكنه أن يبدل منها الفاء لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً كما قالوا في جمع: آدم أوادم، قال الزجاج: وهو القياس وهذا أيم من هذا في قول الأخفش، قال: لأنها صارت الياء في أئمة بدلاً لازماً.

(١) لقد بحثنا هذا الموضوع في المدخل إلى الشعر الدارج من هذه الموسوعة أيضاً لأن اللهجة الدارجة كثيراً ما استخدمت إحدى القواعد الصرفية القديمة في تصريف الكلمة.

Digitized by Google

الفهرس

مقدمة الناشر ٥
مقدمة المعد ٧
تقديم ١٣
تمهيد ١٥
حقيقة الدعاء ١٩
فوائد الدعاء وآثاره ٢١
١ ـ الشفاء ٢١
٢ ـ الراحة والطمأنينة ٢٦
٣ ـ الحصانة ٢٩
مقارنة ٣٣
١ ـ الشعور بالعز ٣٣
٢ ـ القدرة المطلقة ٣٤
حدود الدعاء ٣٧
آداب الدعاء ٤٣
١ ـ الكون على الطهارة ٤٣
٢ ـ استقبال القبلة ٤٤

Digitized by Google

٣ ـ عدم الجهر بالدعاء ٤٥
٤ ـ اختيار الزمان ٤٦
٥ ـ اختيار المكان ٤٨
٦ ـ التصريح بالحاجة ٥١
٧ ـ البدء بالبسملة ٥٢
٨ ـ تقديم الدعاء بالتحميد والتمجيد ٥٣
٩ ـ تقديم الصدقة ٥٤
١٠ ـ الدعاء بالمأثور ٥٥
١١ ـ اتخاذ الوسيلة ٥٨
١٢ ـ التضرع والرقة ٥٩
١٣ ـ تعميم الدعاء ٦١
١٤ ـ رفع اليدين ٦٢
١٥ ـ التزين ٦٣
١٦ ـ التجمع ٦٤
١٧ ـ الابتعاد عن اللحن ٦٥
شرائط استجابة الدعاء ٦٧
عوامل عدم استجابة الدعاء ٨١
١ ـ عدم الوفاء بالعهد ٨١
٢ ـ مخالفة القوانين الكونية ٨٢
٣ ـ نقض شروط الدعاء ٨٥

Digitized by Google

٤ ـ عدم توفر الأرضية المناسبة ٨٥
٥ ـ الخطأ في الاتجاه ٨٦
٦ ـ التناقض بين الأدعية ٨٧
٧ ـ اقتراف الذنوب ٨٧
٨ ـ استعجال الإجابة ٨٩
٩ ـ سبق الأُمور ٩٠
١٠ ـ التقاعس ٩١
١١ ـ عدم مصلحة الداعي ٩١
الآداب المتأخرة ٩٣
أدب الدعاء وأسلوبه ٩٥
● دعاء القرآن ٩٦
● دعاء الوحي ٩٩
● دعاء الرسول صلى الله عليه وآله ٩٩
● دعاء فاطمة الزهراء عليها السلام ١٠٤
أولاً: الاتجاه اللفظي ١١٣
ثانياً: الاتجاه المعنوي ١١٥
دراسة في نصوص الأدعية ١١٩
مع الدعاء في بعض معانيه ١٢٧
بين العبادة والدعاء ١٣٩
الدعاء على الأعداء ١٤٣

Digitized by Google

ملاحظات في دعاء المعصوم ١٤٥
كلمة المشيئة ١٤٧
كيف تجمع الأُم ١٥١
الرسم القرآني ١٥٧
قلب الهمزة ياءً ١٦١
الفهرس ١٦٧

Digitized by Google

إصدارات بيت العلم للنابهين

- آل الكرباسي.
- الأدلة القرآنية.
- بصائر النور.
- بين الظلال.
- التشريع الإسلامي في مناهله.
- الجامعة في الزيارات الحسينية الكاملة.
- حوار مع دائرة المعارف الحسينية (العقل والنقل).
- الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية.
- دور المراقد في حياة الشعوب.
- ديوان الشيخ محسن أبو الحب (الكبير).
- الرؤيا بين الحقيقة والوهم.
- الزنبقة في التقاريظ المنمقة.
- زيارة الإمام الحسين في يومي عرفة والأربعين.
- زيارة الروضتين الشريفتين الحسينية والعباسية.

Digitized by Google

ـ زيارة عاشوراء المشهورة ودعاء علقمة.

ـ شمس المرأة لا تغيب.

ـ صحيفة الإمام الحسين عليه السلام.

ـ عبق الشعر الحسيني.

ـ العين الباصرة.

ـ قراءات.

ـ كربلاء الأمس واليوم.

ـ ملحمة المراقد.

ـ المنهاج.

ـ الموال في دراسة معمقة.

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

بيت العلم للنابهين

ص.ب: ٥٧٣٣-١٤ المزرعة - بيروت - ١١٠٥٢٠٧٠ - لبنان. هاتف: ٠١/٥٥٠٩٩٢

Digitized by Google